مجلة البيان
إهداء إلى مكتبة مشكاة الإسلامية

مجلة البيان ، السنة التاسعة ، العدد 81 جمادى الأولى 1415هـ / أكتوبر 1994

كلمة صغيرة

تمثل وسائل الإعلام المقروءة منبراً مهماً في التأثير على الفرد والجماعة وصناعة الرأي العام وتشكيله ؛ إذ ليست الإصدارات الدورية من صحف ومجلات سوى محطات للتأثير المتراكم ، والحوار المنتظم مع عقل القارئ وعواطفه ومعارفه.
وقد كان أملنا منذ البدء أن ننشيء منبراً دورياً ، يسد بعضاً من الحاجة الماسة في ميدان الإعلام الإسلامي وتجسّد الأمل ، وكانت » البيان « ، إلا أننا بعد كل هذه المسيرة نحب أن نذكر القارئ الكريم أننا لم نجعل من هم المجلة ملاحقة الحدث السياسي ورصده وتحليله مع إدراكنا لأهمية ذلك فالمجلة إصدار شهري وهمومها : شرعية ، فكرية ، ثقافية بالدرجة الأولى ، ومع ذلك فإننا نحرص على إبداء موقفنا من أحداث العالم الإسلامي وإعطاء رؤية لبعض التحولات السياسية المفصلية نحسب أنها تحظى بنصيب من النضج والعمق وحسبنا أن نجتهد ما أمكن ، وأن نحلم مع ذلك باعتلاء موقع أفضل ، وتقديم عطاء أقرب إلى رضوان الله ، وأدعى إلى احترام القارئ الكريم .

الافتتاحية

والعاقبة للمتقين
رؤية في الأحداث الأخيرة بالجزائر

(1)

وأخيراً .. وبعد مرور ثلاث سنوات وبضعة أشهر خرج عباسي مدني وصاحبه علي بلحاج من السجن برؤوس شامخة وهمم عالية ، خرجا ليثبتا للناس جميعاً أن أساليب المكر والقهر والجبروت التي تصب فوق رؤوس الدعاة والمصلحين لا تزيدهم إلا إقبالاً وثباتاً ، ولا تثني من عزائمهم ، أو تحبط من هممهم .. ! !
لقد أثبتت أحداث الجزائر أنه مهما تشبث أهل الغواية بغوايتهم ، وأصروا على باطلهم ، فإن أهل الحق أطول نفساً ، وأقوى عزيمة ، وأهنأ بالاً .. !
لقد أثبتت أحداث الجزائر أن الديموقراطية التي يرعاها الغرب هي ديموقراطية الببغاوات الذين يقولون ما لا يفعلون ، وحالهم كما قال القائل :
ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت ! !
لقد أثبتت أحداث الجزائر أن دعوات الإصلاح وحركات التغيير لن تنجح إلا بالصبر واليقين والثبات على الحق ، مهما كثرت التضحيات ، فالبصبر واليقين تنال الإمامة في الدين .
ما بال هذه الجماهير التي تعرضت لكل أنواع المسخ وغسيل الدماغ تعود ثانية إلى رياضها اليانعة الكريمة ولا ترضى بالدنية في دينها .. ؟ !
ما بال هذه الجماهير التي ذاقت كل أنواع الذل والاستخذاء ، تعود ثانية إلى نداء التوحيد بكل إباء وشمم .. ؟ !
لقد جربت الأمة كل شعارات التغيير : النفعية .. الاشتراكية .. القومية .. البعثية .. الوطنية .. والنتيجة مزيد من الانحطاط والتخلف والفساد ، فلا تخرج

الأمة من مأزق إلا وتعود إلى مأزق آخر أشد منه انحرافاً وتخلفاً ، فتتراكم الإحباطات ، والضحية هو الشعب المسكين . !

إن أشد حالات الذل والمهانة أن تضرب العبودية على الشعوب ، وتسرق عقولها ، وتصادر هويتها ، ولقد عرفت الشعوب أن تلك الهياكل النخرة المهترئة التي تخبطت في قيادة الأمة قد أفلست ، وانكشفت أقنعتها وظهر عوارها وخزيها ، ولم يبقَ إلا أن تعود إلى دينها الحق وتلتف حول أبنائها الخُلص الأبرار الذين عُفّرَتْ وجوههم بالتراب ذلاً وعبودية لله العظيم وحده لا شريك له .

لقد أثبتت أحداث الجزائر أن الإسلام هو خيار هذه الأمة ، فلما رفعت راياته وحملها رجالها المخلصون ، التفت حولهم الجماهير بكل محبة وثقة .

مساكين أولئك الذين يحاربون الإسلام .. ! ! !

مساكين أولئك الذين يحاربون الله تعالى ويبارزونه .. ! ! !

مساكين أولئك الذين يحاربون خيار الشعب ويناصبونه العداء .. ! ! !

(2)

وبخروج الشيخين من السجن انتقل العمل الإسلامي في الجزائر إلى طور جديد ومفترق حاسم مليء بالمناورات السياسية ، عندما بدأت الدعوة إلى الحوار والجلوس على مائدة المفاوضات ، ونحن نثق بصلابة إخواننا وقوتهم في دينهم ، كما نثق بيقظتهم وإدراكهم للألاعيب السياسية بأنفاقها المظلمة وطرقها المتعرجة ، وحبنا لهم يدفعنا إلى تذكيرهم بالنقاط التالية :

أولاً : أن المطالبين بالحوار هم الذين أسكتوا اختيار الشعب ، وعطلوا المسار الانتخابي ، ووأدوا الديموقراطية المزعومة التي يتشدقون بها .

ثانياً : أن الحوار لا يعني الضعف والرضوخ والتنازل ، ولا يؤدي إلى الاستهلاك وامتصاص الحماس ، بل ينبغي أن يكون دعوة لاستعادة الحقوق وإصلاح الأوضاع المتدهورة .

ثالثاً : لا يجوز أن تنسينا الأهداف القريبة أهدافنا البعيدة ، ولن يتم ذلك إلا بوضوح الخطط ، وتوافر الدراسات ، ومعرفة الإمكانات والخيارات المطروحة في الساحة .

والذي نريد تأكيده أن القضية ليست أن يخرج مدني من السجن أو لا يخرج مع تقديرنا الشديد له وإنما القضية أن تخرج الأمة بأكملها من ذلك السجن الكبير الذي يكتم أنفاسها ، أن يخرج الشعب من ذلك الحصار الرهيب الذي ضرب عليه ، أن يعيش الناس عيشة الأحرار الكرام لهم عقول يعون بها وآذان يسمعون بها وعيون يبصرون بها .

رابعاً : لقد كانت قوة الإنقاذ في المرحلة السابقة في تماسكها ووحدة كلمتها ووضوح أطروحاتها ومبادئها ، ولن تكون قوية في هذه المرحلة الحرجة إلا بذلك ، فالحذر الحذر من الاختلاف والفرقة والتنازع ، وتطاوعوا ولا تختلفوا ، وتناصروا ولا تتخاذلوا ، وقضية الجزائر الكبرى ليست هي الإنقاذ أو حماس أو النهضة أو الجماعات المسلمة ، إنما هي أن نكون أو لا نكون ، وإما إسلام أو لا إسلام .

لقد صبر الشعب الجزائري وثبت في هذه المحنة عندما رأى أشياخه وقادته في مقدمة الصفوف برؤوس شامخة ونفوس أبية كريمة .

لقد صبر الشعب الجزائري وثبت عندما رأى الصدق والقوة في الحق ووضوح الرؤية ، ولكني أحسبه يوصي القيادة بالمحافظة على انتصاراته حتى لا تسرق ثمرته كما سرقت من قبل لمّا أخرج الاستعمارَ من أرضه .

﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

مقال

نظرات في :
أصول التجديد الإسلامي

خميس بن عاشور

هل العقيدة والشريعة اللتان توجدان اليوم بين أيدي المسلمين هما العقيدة والشريعة اللتان كانتا أيام الصحابة والسلف الصالح ؟ .. أم أن تشويهات أصابت الإسلام الأول الإسلام الصحيح إسلام الفطرة والوضوح والواقعية ، لا شك أن إسلام اليوم في كثير من البلدان ليس هو الإسلام الصحيح كما ورد به الوحيان ، ومادمنا نسلم بذلك فإن ضرورة التجديد تبدو ملحة للخروج من الأزمة ، أزمة البعد عن واقع الإسلام النقي ، ومع اعتقاد كثير من المسلمين بأن الإسلام لا يزال بخير وعافية في عقيدته وشريعته فإنه يتحتم أن نبين ما إذا كان ذلك صحيحاً أم أنه لا يعدو كونه وهماً كبيراً ، وتراكمات فكرية للزمان والمكان على الضمير الجمعي المسلم سيما وقد استحال الإسلام إلى تقاليد وعادات مستحكمة خالية من بذور الإبداع التي تميز ذلك التفاعل البناء بين الإسلام النقي ونفوس المسلمين المخلصين ، وإلا فكيف نفسر تلك السلبية التي ميزت المسلم فيما بعد القرون المفضلة ، إن هناك خَللاً دون ريب، وإن هناك انحرافاً عن الخط الذي رسمه الوحي الإلهي للمسلم كي يسلكه بكل عزيمة وثقة ، ومهمة التجديد في هذا المجال هي تحديد علل ذلك الانحراف ، ووضع الأساليب والمناهج التي بإمكانها أن تضع قطار الإسلام مرة أخرى على الخط ويلزم من ذلك أن توفر هذه الأساليب التجديدية نفس الظروف والإمكانيات النفسية الروحية التي وجدها المسلم عندما كان الوحي يتنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

إن مهمة التجديد إذاً هي إبعاد كل العناصر والجزئيات الدخيلة على عملية تفاعل الوحي مع النفوس ، هذا التفاعل هو الذي من شأنه أن يحيي تلك الإيجابية الإيمانية التي أخرجت من بين من أخرجت جيل الصحابة وجيل التابعين الذين مثلوا الإسلام خير تمثيل ، وأصبحوا بذلك النموذج السامي لثمرة تفاعل الوحي الإلهي بالنفوس ، وبعد ذلك قد تلوح في الأفق إمكانية مطابقة الواقع الفكري والعملي الآني مع الواقع الفكري والعملي للفترة النموذجية للإسلام ، فترة السلف الصالح ، ثم نحاول إزالة الشوائب والزوائد التي تشوه عملية المطابقة ، وبقدر الجهد والإخلاص الذي نبذله في هذه العملية بقدر ما تكون الصورة الحاصلة أوضح وأقرب إلى النموذج المنشود وإن كان ليس بالضرورة أن نحصل على نفس الحجم ونفس الكثافة بل قد نحصل على أقل من ذلك أو أكثر بحسب توافر الشروط اللازمة لإحداث عملية التفاعل بين الوحي الإلهي البعيد عن كل شائبة بشرية وبين نفوس المسمين الذين يملكون الشروط النفسية المطلوبة منهم ، كذلك حسبنا أن نعمل على التسوية والمقاربة ما أمكن إن هذه العملية التطابقية تبدو عملية هائلة تتطلب الإرادة والعزيمة التي لا تعرف الكلل ولا الخور .

إن نظرة فاحصة إلى منهج التلقي أثناء فترة التنزيل ، ثم فترة أولئك الذين عايشوا التنزيل تجعلنا نجزم بعد الاطلاع على ما أنتجه المسلمون في ميدان أصول التشريع والاعتقاد بأن هناك بوناً شاسعاً بين هذين المنهجين (منهج السلف ومنهج الخلف) وبغض النظر عما حدث بسبب الضرورات الزمانية والمكانية فإن أصول الخلف الجديدة لا شك أنها تحمل الكثير من بصمات الوضعية البشرية التي من

شأنها تكثيف الحجب التي تقف دون استشفاف المعنى الحقيقي للإسلام .
إن دراسة منهاج السلف في الاعتقاد والتشريع تبين لنا بكل وضوح أن مهمة هذه المنهاج هي البحث عن حكم الله في القضايا المطروحة من خلال تتبع نصوص الوحي وقد فرض هذا الاتباع للنصوص شروطاً تدور جلها حول إثبات النص سنداً ومتناً ومعنى ، حتى إذا اتفقت الأسانيد والمعاني حول فهم معين أخذوا به ولم ينظروا إلى غيره ، وهذا ما حدث في الأغلب ، إن لم نقل في كل القضايا العقدية ، أما القضايا التشريعية (أي المتعلقة بالأحكام العملية) فإنهم كانوا رغم مفاهيمهم المتعددة لبعضها فإن خلافاتهم كانت محدودة ومحصورة جداً ، وسبب ذلك اتحادهم في منهج الفهم والإثبات ، ولقد اقتضت العصور اللاحقة لهؤلاء السلف شروطاً فرضتها حيثيات الزمان والمكان ، وبالتالي فإننا نستطيع أن ندخل عاملاً مهماً في تجديد الإسلام عقيدة وشريعة وهو عامل « علم الإسناد » الذي هو من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء ، والغرض من ذلك هو إعادة الاعتبار إلى النص الصحيح الذي هو غاية المشرع بلا ريب سواء أكان ذلك في الأحكام العملية أو الأحكام الاعتقادية ، بدون تفريق بين العقيدة والشريعة لا كما فعل ذلك منهج الخلف، وبالإضافة إلى ذلك فإننا نستطيع أن ندخل عاملاً آخر لا يقل أهمية عن الأول وهو اللغة العربية ، فالعمل على إعادة الاعتبار إلى اللغة التي نزلت بها كل تلك النصوص هو ذلك العامل ذو الرقم المهم في هذه المعادلة ، وبالإضافة إلى ركن الاجتهاد الفقهي العملي فإننا نستطيع أن نضع منهجاً لا يعتبر جديداً بقدر ما يعتبر عملية تنسيق وقراءة لما يوجد في مبادئ الفكر الإسلامي الأصولي بالدرجة الأولى ، وذلك من خلال مراجعة مؤلفات المسلمين في بيان أصول التشريع وأصول الاعتقاد، ويمكن صياغة ذلك كما يلي :

أولاً : الرجوع إلى النصوص الشرعية (الكتاب والسنة) مع اعتبار كل ما وضعه المسلمون في محاولاتهم لفهم النصوص ، وذلك ما يقودنا بالتالي إلى مراجعة أمهات كتب أصول الفقه وأصول العقيدة ليسر منهاجها ، ثم محاولة نقدها ليؤخذ منها ما يستحق الأخذ في عملية وضع منهج لتجديد الإسلام وإرجاع الحيوية إليه في نفوس المسلمين .

ثانياً : الإسناد في هذه العملية يعتبر وسيلة لا مناص منها ومهمته هي الوصول إلى متن النص الصحيح ، كما جاء به الوحي الإلهي ، وذلك قبل البدء في عملية فهمه وفق مقتضيات خطاب الشارع المتعلق بأفعال المكلفين فالإسناد إذا هو تلك الضرورة التي فرضها البعد الزماني عن مصدر النص وهذا يقود بدوره إلى دراسة منهجية تتعلق بعلم الإسناد ومدى إمكانيات توظيفه لكي يؤدي مهمته الأساسية في عملية تجديد الإسلام .

ثالثاً : اللغة العربية وإن كانت أداة ووسيلة هي في نفس الوقت غاية لأن نزول الوحي بها يجعلها ذات أهمية بالغة ، وهذا ما يقودنا إلى محاولة وضع خطة سليمة لدراسة اللغة العربية فيما بعد انقضاء عصور الاحتجاج حيث أصحاب اللغة الأصليين السلفيين ، وذلك ما من شأنه أن يوفر للمسلمين من العرب وغير العرب الشرط المباشر لاستقبال خطاب الشارع المنزل بلسان عربي مبين ، وهنا يتحتم وضع المناهج المفصلة لنشر اللغة وتدريسها بكيفية تقرب المسلم من النص وهو سليم من التشوهات التي قد تصيبه بسبب عوامل الزمان والمكان .

فتجديد اللغة هو أيضاً ركن من أركان تجديد الإسلام نفسه ، وذلك بالتركيز على النص العربي (نثراً وشعراً) قبل التركيز على قواعد اللغة من نحو وصرف مثلما هو معمول به اليوم ومنذ قرون طويلة من تاريخ الإسلام حيث طغت الوسيلة (قواعد اللغة) على الغاية (النص العربي) .

رابعاً : الاجتهاد ، والمقصود به بذل الجهد في معرفة الحكم العملي لا الاعتقادي ، وذلك ما من شأنه أن يحافظ على وحدة العقيدة عند المسلمين ، ووضع حد لعمليات التمحل والتعسف التي تعرضت لها من خلال القول بجواز الاجتهاد في العقيدة الذي تزعمت القول به مدرسة العقلانية قديماً وحديثاً ، أما الاجتهاد في معرفة الأحكام العملية فهو العملية الواجبة من أجل أن يبقى الإسلام صالحاً لكل زمان ومكان كما أراده الله عز وجل ، ولكن إذا نحن تأملنا في الخلافات الحاصلة بين المسلمين نجد أن أغلبها نابع من المبالغة في توسيع مجال النظر البشري في مسائل الإيمان والحقائق الغيبية أي توسيع مجال الاجتهاد على غير الوجهة التي أرادها الشارع ، أي على الطريقة المعبرة عن الآراء أو بعبارة أخرى عن الميولات والأهواء النفسية في بعض الأحيان أو حتى السياسية في أحيان أخرى ، وهذا ما يقودنا في هذا المضمار بدافع المنهج العلمي إلى دراسة الاجتهاد دراسة أصولية تهدف إلى وضع تعريف له مقبول شرعاً ، وتحديد مجاله ، ووسائله وأساليبه ، وبالتالي محاولة فرز تلك المعضلات الفكرية التي نشأت بسبب تداخل مجالات المتحول في مجال الثابت داخل الإسلام عقيدة وشريعة ، وتقودنا هذه الدراسة مرة أخرى إلى مبادئ الفكر الأصولي الإسلامي حيث ستؤخذ كل الأصول بالاعتبار بدءاً بالقياس وانتهاءً بالأصول الأقل أهمية كالعرف والاستصحاب مع التركيز على هذا الأخير الذي قد يكون أصلاً له أهمية أكبر مما أعطاه الأصوليون في كتبهم ومؤلفاتهم، وهذه الأهمية تكمن في علاقته « الرياضية » مع القياس ، لأننا نجد المتوسعين في العمل بالقياس والرأي يقللون من أهمية الاستصحاب والذين يضيقون في العمل بالقياس والرأي أو ينكرونهما يتوسعون في العمل بالاستصحاب كالحنابلة والظاهرية، وهذا ما يجعله ينافس أصل القياس ويحد من عمله ليصبح بديلاً في الإجابة عن الوقائع الطارئة ، وكما سبق فإن هذا المنهج قد لا يعتبر جديداً بقدر ما يعتبر عملية إعادة تشكيل أو صياغة للتراث الأصولي الإسلامي الذي لم يترك لمستزيد مجالاً كبيراً للزيادة ، وإنما حسبنا أن نستشف من هذا التراث ما به نستعيد مجدنا في مجال التقنين والالتزام بالإسلام عقيدة وشريعة ، والله الموفق ..

دراسات شرعية

النفاق
حقيقته ، أنواعه ، صوره
-1-

د . محمد عبد الله الوهيبي

تمهيد :

كثر الحديث في القرآن الكريم عن النفاق والمنافقين ، صفاتهم وأخلاقهم وأنهم شر أنواع الكفار ، وأن مصيرهم في الدرك الأسفل من النار ، ومن ثم تحذير المؤمنين منهم لأن « بلية المسلم بهم أعظم من بليته بالكفار المجاهرين ، ولهذا قال تعالى في حقهم : هم العدو فاحذرهم [المنافقون : 4] ، ومثل هذا اللفظ يقتضي الحصر ، أي لا عدو إلا هم ، ولكن لم يرد ها هنا لحصر العداوة فيهم وأنهم لا عدو للمسلمين سواهم ، بل هذا من إثبات الأولية والأحقية لهم في هذا الوصف ، وأنه لا يُتوهم بانتسابهم إلى المسلمين ظاهراً وموالاتهم لهم ومخالطتهم إياهم أنهم ليسوا بأعدائهم ، بل هم أحق بالعداوة ممن باينهم في الدار ، ونصب لهم العداوة وجاهرهم

بها ، فإن ضرر هؤلاء المخالطين لهم المعاشرين لهم وهم في الباطن على خلاف دينهم أشد عليهم من ضرر من جاهرهم بالعداوة وألزم وأدوم ، لأن الحرب مع أولئك ساعة أو أياماً ثم تنقضي ويعقبها النصر والظفر ، وهؤلاء معهم في الديار والمنازل صباحاً ومساءً ، يدلون العدو على عوراتهم ، ويتربصون بهم الدوائر ، ولا يمكنهم مناجزتهم ، فهم أحق بالعداوة من المباين المجاهر « [1] .

ويقول الحافظ ابن كثير رحمه الله : (نبه الله سبحانه وتعالى على صفات المنافقين لئلا يغتر بظاهر أمرهم المؤمنون ، فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتراز منهم ، ومن اعتقاد إيمانهم وهم كفار في نفس الأمر ، وهذا من المحذورات الكبار أن يظن بأهل الفجور خيراً) [2] ، وسيكون حديثنا في هذا المقال عن تعريف النفاق ، ثم نذكر أنواعه ، ونركز الحديث على النفاق المخرج من الملة باعتباره المقصود الأساس من بحثنا .

تعريف النفاق :

اختلف علماء اللغة في أصل النفاق ، فقيل إن ذلك نسبة إلى النفق وهو السرب في الأرض لأن المنافق يستر كفره ويغيبه ، فتشبه بالذي يدخل النفق يستتر فيه .

وقيل : سمي به من نافقاء اليربوع ، فإن اليربوع له جحر يقال له : النافقاء ، وآخر يقال له : القاصعاء ، فإذا طلب من القاصعاء قصع فخرج من النافقاء ، كذا المنافق يخرج من الإيمان من غير الوجه الذي يدخل فيه ، وقيل : نسبة إلى نافقاء اليربوع أيضاً ، لكن من وجه آخر وهو إظهاره غير ما يضمر ذلك : أنه يخرق الأرض حتى إذا كاد يبلغ ظاهر الأرض ترك قشرة رقيقة حتى لا يعرف مكان هذا المخرج ، فإذا رابه ريب دفع ذلك برأسه ، فخرج ، فظاهر جحره تراب كالأرض ، وباطنه حفر ، فكذلك المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر [3] .

ولعل النسبة إلى نافقاء اليربوع أرجح من النسبة إلى النفق (لأن النفق ليس فيه إظهار شيء ، وإبطان شيء آخر ، كما هو الحال في النفاق ، وكونه مأخوذاً من النافقاء باعتبار أن المنافق يظهر خلاف ما يبطن ، أقرب من كونه مأخوذاً منه باعتبار أنه يخرج من غير الوجه الذي دخل فيه ، لأن الذي يتحقق فيه الشبه الكامل بين النافقاء والنفاق هو إظهار شيء وإخفاء شيء آخر ، إضافة إلى أن المنافق لم يدخل في الإسلام دخولاً حقيقياً حتى يخرج منه) [4] .

أما النفاق في الاصطلاح الشرعي فهو إظهار القول باللسان أو الفعل بخلاف ما في القلب من القول والاعتقاد [5] ، أو هو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه ، وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به ، وإن كان أصله في اللغة معروفاً كما سبق [6] .

وأساس النفاق الذي بني عليه : أن المنافق لابد وأن تختلف سريرته وعلانيته، وظاهره وباطنه ، ولهذا يصفهم الله في كتابه بالكذب كما يصف المؤمنين بالصدق، قال تعالى : ﴿ ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾ [البقرة : 10] ، وقال : ﴿ والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ [المنافقون : 1] وأمثال هذا كثير « [7] .

إذاً : أخص وأهم ما يميز المنافقين الاختلاف بين الظاهر والباطن ، وبين الدعوى والحقيقة كما قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ [البقرة : 8] ، قال الإمام الطبري رحمه الله : (أجمع جميع أهل التأويل على أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل النفاق ، وأن هذه الصفة صفتهم) [8] .

وقد يطلق بعض الفقهاء لفظ الزنديق على المنافق ، قال شيخ الإسلام رحمه الله : » ولما كثرت الأعاجم في المسلمين تكلموا بلفظ (الزنديق) وشاعت في لسان

الفقهاء ، وتكلم الناس في الزنديق : هل تقبل توبته ؟ والمقصود هنا : أن (الزنديق) في عرف هؤلاء الفقهاء ، هو المنافق الذي كان على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وهو أن يظهر الإسلام ويبطن غيره ، سواء أبطن ديناً من الأديان : كدين اليهود والنصارى أو غيرهم ، أو كان معطلاً جاحداً للصانع والمعاد والأعمال الصالحة ... » [9] ، وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في بيان مراتب المكلفين في الدار الآخرة وطبقاتهم :) : (الطبقة الخامسة عشر) : طبقة الزنادقة ، وهم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل ، وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله ، هؤلاء هم المنافقون ، وهم في الدرك الأسفل من النار « [10] .

1- النفاق الأصغر :

الأصل في ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو وأبي هريرة وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم ، في ذكر آية المنافق ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : » آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا إئتمن خان « [11] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي -صلى الله عليه وسلم-قال: » أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان ، وإذا حدّث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر « [12] ، قال الإمام النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث : (هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلاً من حيث إن هذه الخصال توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك ، وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقاً بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ، ولا هو منافق يخلد في النار ، فإن أخوة يوسف -صلى الله عليه وسلم-جمعوا هذه الخصال ، وكذا وجد لبعض السلف والعلماء بعض هذا أو كله ، وهذا الحديث ليس فيه بحمد الله تعالى إشكال ولكن اختلف العلماء في معناه ، فالذي قاله المحققون والأكثرون وهو الصحيح المختار ، أن معناه أن هذه الخصال خصال نفاق ، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم ، فإن النفاق إظهار ما يبطن خلافه ، وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال ، ويكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا أنه منافق في الإسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ولم يُرد النبي -صلى الله عليه وسلم-بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الأسفل من النار ، وقوله -صلى الله عليه وسلم- (كان منافقاً خالصاً) معناه شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال ، قال بعض العلماء هذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه ، فأما من يندر ذلك منه فليس داخلاً فيه ، فهذا هو المختار في معنى الحديث ...) [13] .

وقال الإمام الخطابي رحمه الله : (هذا القول إنما خرج على سبيل الإنذار للمرء المسلم ، والتحذير له أن يعتاد هذه الخصال ، فتفضي به إلى النفاق ، لا أن من بدرت منه هذه الخصال ، أو فعل شيئاً من ذلك من غير اعتياد أنه منافق)[14].

وقال أي الخطابي : » ويدل عليه التعبير بإذا ، فإنها تدل على تكرار الفعل « [15] ، وتعقبه الحافظ ابن حجر فقال :) والأولى ما قاله الكرماني : إن حذف المفعول من (حدّث) يدل على العموم ، أي إذا حدّث في كل شيء كذب فيه ، أو يصير قاصراً ، أي إذا وجد ماهية الحديث كذب ، وقيل محمول على من غلبت عليه هذه الخصال وتهاون بها واستخف بأمرها ، فإن من كان كذلك كان فاسد الاعتقاد غالباً « [16] ، وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله بعدما شرح هذه الخصال : » وحاصل الأمر أن النفاق الأصغر كله يرجع إلى اختلاف السريرة والعلانية كما قاله الحسن ... « [17] .

ومن هذا الباب الإعراض عن الجهاد فإنه من خصال المنافقين [18] ، قال

النبي صلى الله عليه وسلم : » من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق « [19] ، ومن ذلك ما رواه البخاري في » باب : ما يكره من ثناء السلطان ، وإذا خرج قال غير ذلك « : » قال أناس لعبد الله بن عمر : إنا ندخل على سلطاننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم ، قال : كنّا نعدها نفاقاً « [20] .

وهذا هو النفاق الذي خافه الصحابة على أنفسهم ، يقول ابن رجب [21] : (ولما تقرر عند الصحابة رضي الله عنهم أن النفاق هو اختلاف السر والعلانية خشي بعضهم على نفسه أن يكون إذا تغير عليه حضور قلبه ورقته وخشوعه عند سماع الذكر ، برجوعه إلى الدنيا والاشتغال بالأهل والأولاد والأموال أن يكون ذلك منه نفاقاً ، كما في صحيح مسلم عن حنظلة الأسدي : أنه مر بأبي بكر وهو يبكي ، فقال : مالك ؟ قال : نافق حنظلة يا أبا بكر ، نكون عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم-يذكرنا بالجنة والنار كأنا رأي عين ، فإذا رجعنا ، عافسنا الأزواج والضيعة فنسينا كثيراً ، قال أبو بكر : فالله إنا لكذلك ، فانطلقنا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، فقال : » مالك يا حنظلة ؟ « قال : نافق حنظلة يا رسول الله وذكر له مثل ما قال لأبي بكر ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : » لو تدومون على الحال التي تقومون بها من عندي ، لصافحتكم الملائكة في مجالسكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة « [22] .

ومما ورد في هذا المعنى أي خوف الصحابة من النفاق ما قاله ابن أبي مليكة: » أدركت ثلاثين من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول : إنه على إيمان جبريل وميكائيل « [23] ، يقول الحافظ ابن حجر في تعليقه على هذا الأثر : » والصحابة الذين أدركهم ابن أبي مليكة من أجلهم عائشة وأختها أسماء وأم سلمة والعبادلة الأربعة وأبو هريرة وعقبة بن الحارث والمسور بن مخرمة ، فهؤلاء ممن سمع منهم ، وقد أدرك بالسن جماعة أجل من هؤلاء كعلي بن أبي طالب ، وسعد بن أبي وقاص ، وقد جزم بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال ، ولم ينقل عن غيرهم خلاف ذلك فكأنه إجماع وذلك لأن المؤمن قد يعرض عليه في عمله ما يشعر به مما يخالف الإخلاص ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعه منهم ، بل ذلك على سبيل المبالغة منهم في الورع والتقوى رضي الله عنهم « [24] .

وخلاصة القول في النفاق الأصغر ، أنه نوع من الاختلاف بين السريرة والعلانية مما هو دون الكفر ، وذلك كالرياء الذي لا يكون في أصل العمل وكإظهار مودة الغير والقيام بخدمته مع إضمار بغضه والإساءة إليه ، كالخصال الواردة في حديث شعب النفاق ونحو ذلك ، فعلى المسلم الحذر من الوقوع في شيء من ذلك .

2- النفاق الأكبر :

سبقت الإشارة إلى تعريفه عند الكلام عن النوع الأول ، ويمكن اختصار تعريفه بتعريف ذكره الحافظ ابن رجب حيث قال رحمه الله :) النفاق الأكبر ، وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر ، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه ، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم ، وأخبر أنهم في الدرك الأسفل من النار « [25] ، ومن الآيات في تكفيرهم ومصيرهم في الآخرة قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخروما هم بمؤمنين ﴾ [البقرة : 8] ، وقوله عز وجل : ﴿ بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً ﴾ [النساء : 138] ، وقوله سبحانه: ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾ [النساء : 145] ، وقوله تعالى : ﴿ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها ﴾ [التوبة : 68] ، وقوله

تعالى : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ، يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهمَوا بما لم ينالوا ﴾ [التوبة : 73 ، 74] وقوله عن طائفة من المنافقين : ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ [التوبة : 66]

فهذه الآيات تبين لنا أن المنافقين من أسوأ أنواع الكفار ، ومصيرهم في الآخرة في الدرك الأسفل من النار ، لأنهم زادوا على كفرهم ، الكذب والمراوغة والخداع للمؤمنين ، ولذلك فصل القرآن الحديث حولهم وحول صفاتهم لكي لايقع المؤمنون في حبائلهم وخداعهم .

وفي الحلقة القادمة سنتحدث إن شاء الله عن بعض صور النفاق الأكبر .

---

(1) طريق الهجرتين 374 .
(2) تفسير ابن كثير ، 1/47 .
(3) انظر في معنى النفاق لسان العرب 1/358 ، 359 المفردات 502 النهاية 5/98 القاموس المحيط 3/286 شرح السنة للبغوي 1/71 ، 72 تفسير القرطبي 1/195 حاشية مختصر سنن أبي داود 7/52 ، 53 ؛ والمنافقون في القرآن الكريم د عبدالعزيز الحميدي 13 .
(4) المنافقون في القرآن الكريم ، ص 13 .
(5) انظر عارضة الأحوذي 10/97 .
(6) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر 5/98 لسان العرب 10/359 ، الإيمان لابن تيمية 284 .
(7) الإيمان الأوسط ، وانظرصفة النفاق للإمام الفريابي 29 .
(8) تفسير الطبري 1/268 .
(9) الأيمان الأوسط 13 .
(10) طريق الهجرتين 374 .
(11) رواه البخاري ، كتاب الإيمان (باب علامة المنافق) رقم 33 ؛ الفتح 1 /89 ؛ مسلم كتاب الإيمان (باب بيان خصال المنافق) شرح النووي 2/46 .
(12) رواه البخاري ، كتاب الإيمان (باب علامة المنافق رقم 34 ، الفتح 1/ 89 ؛ مسلم كتاب الإيمان (باب بيان خصال المنافق) ؛ شرح النووي 2/46 (13) ، شرح النووي على صحيح مسلم 2/46 ، 47 (14) شرح السنة 1/76 ، وجامع العلوم والحكم ص407 .
(15) فتح الباري 1/90 .
(16) نفسه 1/91 ، وانظر أقوالاً أخرى حول الحديث في نفس الموضوع في شرح النووي 2/46 ، 47 ، وحاشية مختصر المنذري 7/53 ، وشرح السنة 1 /76 ، وجامع العلوم والحكم 406 ، وعارضه الأخوذي 10/98 ، 99 .
(17) جامع العلوم والحكم 406 .
(18) مجموع الفتاوى 28/436 ، ومسلم بشرح النووي 13/56 .
(19) رواه مسلم (كتاب الأمارة) باب ذم من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو عن أبي هريرة رقم 1910 ، 3/1507 .
(20) رواه البخاري كتاب الأحكام رقم 7178 ، الفتح 13/170 ، وانظر صوراً أخرى لهذا النوع في جامع العلوم والحكم 406 ، 407 .
(21) جامع العلوم والحكم 408 .
(22) رواه مسلم (كتاب التوبة) باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الأرض رقم 2750 .
(23) رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم ، كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله (الفتح 1/109) .
(24) فتح الباري 1/111 ، وانظر الإيمان لابن تيمية 409 ، وجامع العلوم والحكم 407 .
(25) جامع العلوم والحكم 403 .

مراجعات شرعية

أحكام أهل الذمة باقية لم تنسخ

محمد شاكر الشريف

لقد أصبحت اليوم قضايا الإسلام وأحكامه الشرعية مرعى خصباً وكلأ مباحاً ، ترعاه السوائم من كل لون وجنس ، ويشعر المرء بكثير من الضيق والضجر ، والغضب ، وذلك عندما يطالع في كثير مما يكتب أو يستمع إلى كثير مما يقال ، فيجد الجهل و الجور والحيف في تناول الأمور الشرعية ، لكن هذه الحالة التي يكاد يعيشها المرء يوميا وذلك بفعل الدخلاء والمتطفلين على الكلام في أمور الإسلام تزداد أكثر وأكثر ، ويزداد حرها ولهيبها اللافح ، عندما يقع ذلك الخلط والتخليط ، والحيف ، والجور ، والتحريف من رجل مشهور يشار إليه من بين الناس ، أومن جماعة مشهورة لها رصيدها عند الناس .

وقد يكون الدافع أحياناً لهذه الرغبة في تحصيل منفعة شخصية ، أو حفاظاً على منصب زائل ، أو دفعاً لمضرة متوهمة ، وقد يكون الدافع أحياناً لذلك هو الرغبة في عمل ما يسمونه » مصالحه « مع بعض الأنظمة الحاكمة بغير ما أنزل الله ، أو إنهاء أزمة معه ، أو الحصول على ما يسمونه » بعض المكاسب « من مثل السماح بدخول الانتخابات ، أو إصدار مجلة ، أو غير ذلك .

وبغض النظر عن مناقشتنا لتلك الرغبات ، وما إذا كانت مقبولة أو مرفوضة، فإن الذي ينبغي أن يكون واضحاً للجميع أنه لا يمكن أن تكون تلك» المساومات « على حساب الإسلام ، وعلى حساب أحكامه ، وشرائعه ومناهجه وثوابته ، وإلا فإن الحركة الإسلامية الناضجة لن تغفر هذه » المساومات « لأصحابها ، وسوف تعزلهم ، وفي النهاية سوف تلفظهم ، ولن يحصد المرء غير ما زرع أقول الذي دعاني إلى كتابة ذلك ، هو ما قرأته في جريدة الحياة يوم الأحد بتاريخ
30/2/ 1415 ص5 العدد 11494 من بيان أصدرته جماعة إسلامية كبيرة ، لها رصيدها ، ولها ريادتها في مجال العمل الإسلامي .

ولا يعنيني الآن رغم كثرة ما تعرض له بيان الجماعة غير موضعين :

الموضع الأول : قول بيان الجماعة : (إنهم ينتمون إلى أهل السنة والجماعة ، ويعتبرون أنفسهم جماعة من المسلمين ، وإن عقيدتهم ، وفكرتهم من حيث النقاء والأصالة لا تشوبها شائبة ، كما إن مناهجهم واضحة ، ومتميزة من حيث اعتمادها على الكتاب والسنة ، والفهم الصحيح الذي أجمع عليه أهل العلم الثقات) .

ونحن هنا لا يعنينا أن ننقب وراء هذا الكلام في تراث الجماعة لنرى مدى صوابه من خطئه ، ويكفينا هذا الإعلان الذي يمثل أصلاً قويماً ، ينبغي أن يقوم عليه أي عمل إسلامي ، وهو يمثل في الوقت نفسه مقياساً لمدى قرب العمل الإسلامي أو بعده عن حقيقة الإسلام .

إن إعلان مثل هذا الأصل من أي جماعة تعمل للإسلام ، لابد أن يلقى الترحيب والإشادة ، ويستقبل بالسرور والسعادة من أولئك الذين يهمهم أمر الإسلام ويعيشون له ، وينبغي تشجيع أصحابه على التمسك به وإعانتهم عليه وانطلاقاً من تشجيعنا لتلك الجماعة على الالتزام بهذا الأصل ، الذي أعلنوه ومساعدتنا لهم للمضي فيه قدماً ، ننتقل إلى الموضع الثاني لنناقشه انطلاقاً من الأصل المذكور .

الموضع الثاني : فقد جاء في بيان الجماعة أن » الشريعة الإسلامية أباحت لغير المسلمين حرية العقيدة ، والعبادة ، وإقامة الشعائر ، وحرية الأحوال الشخصية، وعملت على حماية ذلك إلى أبعد مدى « ..

ويمضي البيان إلى أن يقول عن جماعته أنها » ترى أن المواطنة ، أو الجنسية التي تمنحها الدولة لرعاياها حلت محل مفهوم أهل الذمة ، وأن هذه المواطنة أساسها المشاركة الكاملة ، والمساواة التامة في الحقوق والواجبات ، مع بقاء مسألة الأحوال الشخصية من زواج وطلاق ومواريث طبقاً لعقيدة كل مواطن وبمقتضى هذه المواطنة ، وحتى لا يحرم المجتمع من قدرات وكفاءات أفراده ترى

» الجماعة « أن للنصارى الحق في أن يتولوا باستثناء منصب رئيس الدولة كل المناصب الأخرى من مستشارين ، ومديرين ، ووزراء ، ويمثل النصارى مع المسلمين في مصر نسيجاً اجتماعياً وثقافياً وحضارياً واحداً تداخلت خيوطه وتآلفت ألوانه ، وتماسكت عناصره « ، وقد يتعجب المرء ويتساءل هل من الممكن أن يكون الذي كتب تلك الفقرة ، هو نفسه الذي كتب الفقرة السابقة التي نقلناها ؟ ! شيء عجيب حقاً لكن على أي الأحوال ننتقل الآن إلى مناقشة تلك الفقرة الأخيرة على ضوء الأصل الذي ذكرت الجماعة أنها متمسكة به .

أولاً : هل أباحت الشريعة الإسلامية فعلاً لغير المسلمين حرية الاعتقاد .. إلى آخر ما قال البيان ، مع العلم أن » غير المسلمين « وهو التعبير الذي آثر بيان الجماعة استخدامه يشمل اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والشيوعيين ، وعبدة الأوثان ، وعبدة الأبقار ، وكل كافر أو مشرك .

فأين نجد تلك الإباحة في » الكتاب والسنة ، والفهم الصحيح ، الذي أجمع عليه أهل العلم الثقات « ؟ إن الشريعة لم تبح قط الكفر بالله أو الشرك به ولم تبح قط التعبد بالعبادات الباطلة المبتدعة ، ولم تبح قط فعل المنكرات والمعاصي ، وإنما الخلاف قد وقع بين أهل العلم في شأن أهل الكتاب : اليهود والنصارى وما سواهما من الكفار ، هل يعاملون معاملة أهل الكتاب ، أم ليس إمامهم إلا الإسلام أو السيف؟ لأدلة عندهم في ذلك لامجال للحديث عنها هنا ولم تكرههم الشريعةعلى الدخول في الإسلام لا إكراه في الدين ، أما » الإباحة « فلا ، وفرق كبير بين » الإباحة « وبين عدم الإكراه ، فإن » المباح « هو الذي يستوي فيه الأمران : الفعل أو الترك ، والكفر والشرك أكبر الكبائر فكيف يقال : إن الشريعة أباحت ذلك ؟ !

لكن لنقل : إن بيان الجماعة لم يقصد » الإباحة « بالمعنى الوارد في أصول الفقه ، وإنما أراد فعلاً عدم إكراه » غير المسلم « على ترك دينه والدخول في الإسلام ، بل تركت له الخيار بين الدخول في الإسلام أو البقاء على دينه .

ثانياً : لنفترض أن أصحاب البيان يأخذون بقول أهل العلم الذين يرون أن ذلك الحكم غير مختص بأهل الكتاب ، وأن جميع الكفار يشملهم الخيار في الدخول في الإسلام أو البقاء على دينهم ، لكن على أي نحوٍ جاء هذا الخيار سواءً أكان لأهل الكتاب فقط ، أو لجميع الكفار ؟

إن مقتضى » الكتاب والسنة والفهم الصحيح الذي أجمع عليه أهل العلم الثقات أن ذلك لا يكون إلا بأن يصبح هؤلاء من » أهل الذمة « فيلتزموا بأحكام » أهل الذمة « ، » ويعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون « أما كتاب ربنا الكبير المتعال ففيه قوله : قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون [التوبة : 29] .

وأما سنة نبينا -صلى الله عليه وسلم-المؤيد من ربه ، والذي لا ينطق عن الهوى ففيها الكثير نذكر منها حديث بريدة الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه وفيه : » اغزوا باسم الله ، في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله .... ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ... فإن هم أبوا فسلهم الجزية ، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم .. « [1]

فالكتاب والسنة » يبينان أن السيف لا يرفع عمن يرفع عنه من الكفار إلا ببذل الجزية عن يد وهم صاغرون ، وذلك التزام بأحكام » أهل الذمة « .

وأما » الفهم الصحيح الذي أجمع عليه أهل العلم الثقات « ، فارجع إليه وانظر في جميع كتب أهل العلم الفقهية بدون استثناء لتجد الآيات والأحاديث وأحكام

» أهل الذمة « المبنية عليها ولتعلم أن دار الإسلام ، لا يقيم فيها كافر إقامة دائمة إلا إذا خضع لأحكام » أهل الذمة « ، وبمقتضى هذا الخضوع يأمن أهل الذمة على أنفسهم وأهليهم وأموالهم .

وعلى هذا فقول بيان الجماعة : » إن المواطنة أو الجنسية التي تمنحها الدولة لرعاياها حلت محل مفهوم أهل الذمة « ، لم يعتمد على الكتاب ولا على السنة ولا على الفهم الصحيح الذي أجمع عليه أهل العلم الثقات ، بل جاء مناقضاً لكل ذلك .

إن ما يقوله البيان هنا يعنى أن مصطلح » أهل الذمة « والأحكام المرتبطة به قد انتهى ، وأن بيان الجماعة قد استخرج له شهادة الوفاة ، وكفنه ودفنه في ثياب » المواطنة والجنسية « لكنها شهادة مزورة وثياب دنسة ، وستبقى الأحكام الشرعية ثابتة شامخة رغم كل البيانات .

فيا أصحاب البيان : خبرونا ماذا تفعلون بنصوص كتاب ربنا وسنة نبينا وبعمل الخلفاء الراشدين وأقوال الأئمة وتصانيف العلماء التي تحدثت عن أهل الذمة وأحكامهم ، ماذا تفعلون بهذا ؟ أتقولون : إن بيانكم نسخ تلك الأحكام ؟ ! وهل يملك أحد من المسلمين أن ينسخ أحكام الشرع ، أو أن يبدلها ويغيرها حسب هواه ؟ !

وربما قد يعجب بعض القراء ، وقد يستغرقون في الضحك الشديد ويقولون : (ياعم : أين أنت الآن ، وفيم تتكلم ، وعن أية جزية أو صغار ، وأين هذا الجهاد الذي تتحدث عنه ، وهل نستطيع أن نفرض ذلك على الكفار ، ونحن الذين في الحقيقة نكاد ندفع لهم الجزية عن يد ونحن صاغرون) .

وأنا أقول لصاحب مثل هذا الكلام :

أولاً : أن ذلك ليس كلامي جئت به من عند نفسي ، وإنما هو نصوص الشرع وأقوال أهـل العلم ، ونحن جميعاً مطالبون بالالتزام بذلك وعدم الخروج عنه .

ثانياً : أن المرء منا قد تمر به فترات ضعف أو عجز وسواء أكان هذا الضعف أو العجز خارجاً عن إرادته فيكون معذوراً ، أو كان ضعفاً وعجزاً ناتجاً عن تقصير وجبن وخور فلا يكون معذوراً لا يتمكن معها من الصدع بكلمة الحق أو الجهر بها أو العمل لها وإلزام الآخرين بها ، لكن ليس البديل عن ذلك هو التحريف والتبديل ، فإذا لم يتمكن المرء من قول الحق أو فعله فلا أقل من الصمت ، أما النطق بالباطل والدعوة إليه وتزيينه للناس فمن من المسلمين يقبله ؟ !

وإذا لم يستطع جيلنا القيام بذلك على الوجه المطلوب ، فلا أقل يا أخي من أن نترك للأجيال القادمة المفاهيم صحيحة غير مبدلة والثوابت غير محرفة فلعل الله سبحانه يحقق على أيديهم ما عجز جيلنا عن تحقيقه (وإن كان لنا أمل في الله تعالى أن يحقق نصر الإسلام على يد هذا الجيل) .

ثالثاً : ونمضي مع البيان حيث يذكر : » وإن هذه المواطنة أساسها المشاركة الكاملة والمساواة التامة في الحقوق والواجبات « وهذه هي النتيجة المنطقية طالما تم إلغاء أحكام أهل الذمة وهي في نفس الوقت تمثل الطلب الذي طالما ألح الكفار في الحصول عليه ، وهو المساواة التامة في دار الإسلام بين المسلمين والكفار ، فياسبحان الله ما أشد ظلم هذه المساواة التامة وما أكثر مرارتها !

لكننا نمضي مع البيان ليفسر لنا هذه المشاركة الكاملة والمساواة التامة حتى يكون كلامه هو الشاهد عليه ، يقول بيان الجماعة : » وبمقتضى هذه المواطنة وحتى لا يحرم المجتمع من قدرات وكفاءات أفراده ، ترى (الجماعة) أن للنصارى الحق في أن يتولوا باستثناء منصب رئيس الدولة كل المناصب الأخرى من مستشارين ومديرين ووزراء .

لقد أصبحت » المواطنة « في فقه تلك الجماعة أصلاً شرعياً ، وقاعدة تُفَرّع

عليها الأحكام وتؤخذ منها التفاصيل ، فها هو ذا يقول : » وبمقتضى هذه المواطنة« ولم ينس البيان أن يضيف إلى هذا الأصل أصلاً آخر ليناقض به الأحكام
الشرعية ألا وهو قوله : » وحتى لا يحرم المجتمع من قدرات وكفاءات أفراده «
فهل تلك الحجج الباردة التي قدمها البيان : » (المواطنة «) وحتى لا يحرم المجتمع من قدرات وكفاءات أفراده « هل تصلح تلك الحجج ، لمعارضة الأحكام الشرعية الثابتة !!

وقد نظرت في هذه الفقرة فوجدت أن كاتبها يتعامل مع العواطف وليس مع أصول ثابتة يرجع إليها ، وذلك أنه قصر تولى المناصب علىالنصارى « دون أن يذكر » اليهود « وهم الذين يشملهم مع النصارى لفظ » أهل الكتاب « باتفاق أهل العلم ، فما هي القاعدة يا أصحاب البيان « التي استندتم إليها لإخراج اليهود من تولي المناصب ؟ ! وما النصوص الشرعية من » الكتاب والسنة والفهم الصحيح الذي أجمع عليه أهل العلم الثقات « التي تستندون إليها في التفرقة بين اليهود والنصارى ؟ ! الذي يبدو لي أن الكاتب أهمل ذكر اليهود رغم عدم وجود أدلة يستند إليها في ذلك لأنه مازال يعيش في أجواء الحرب التي كانت بين المسلمين واليهود ، وربما كان يخشى من ردة الفعل الشعبي عند ذكر اليهود ، لكن أقول لك يا أخي : لا تخشَ شيئاً ، فالآن قد انتهت الحرب وحل السلام ، ولم يعد بين المسلمين واليهود حروب ، وبالتالي فلا تخشَ من ضياع التأييد الشعبي وكن منطقياً مع نفسك ، وأعلنها قل حتى يستقيم لك منطقك : » وبمقتضى هذه المواطنة ، وحتى لا يحرم المجتمع من قدرات وكفاءات أفراده ترى (الجماعة) أن للنصارى واليهود الحق أن يتولوا .... « إلى آخر ما جاء في الفقرة ، بل وأضف البقية الباقية من غير المسلمين وأنا أقول لأصحاب البيان : طالما أنكم أقررتم أن المواطنة أو الجنسية حلت محل مفهوم أهل الذمة ، فلماذا لا تقرون للمواطن اليهودي الذي يتمتع بجنسية إحدى الدول العربية والإسلامية بالحق في تولى المناصب الوزارية والاستشارية ؟ !

إنه لشيء ممتع حقاً من وجهة نظر بيان الجماعة أن نرى دولة مسلمة : رئيسها مسلم ، ورئيس وزرائها يهودي ، والوزراء خليط من المسلمين واليهود والنصارى ، ولا بأس أن يكون رئيس مجلس الشورى نصرانياً ، حتى تكون هناك عدالة ومساواة في توزيع المناصب العليا لا سيما وأن لهم المشاركة الكاملة والمساواة التامة في الحقوق والواجبات كما ذكر البيان فتكون رئاسة الدولة للمسلمين، ورئاسة الوزراء لليهود ورئاسة مجلس الشورى للنصارى ! !

وعلى كلٍ فنحن نطالبكم بالكتاب والسنة أو الفهم الصحيح الذي أجمع عليه أهل العلم الثقات أو اختلفوا فيه ، والذي يبيح للنصارى جميع المناصب باستثناء رئاسة الدولة .

أما نحن فنبرأ إلى الله تعالى من ذلك ، ولا نقول بظُلم أهل الذمة ولا بالاعتداء عليهم ، ولكن لا ننزلهم إلا حيث أنزلتهم الشريعة ، ولا نعطي لهم شيئاً حرمهم الله ورسوله منه .

ومساعدة منا لكم على الالتزام بالحق ، نذكر لكم من النصوص الشرعية والفهم الصحيح لأهل العلم ما يبين بطلان ما ذكرتموه في الفقرة السابقة ، وإن كان المرء ليس في حاجة إلى ذكر تلك الأدلة ، لأن ما ذكرتموه في الفقرة السابقة هو من الكلام الذي يقال عنه : مجرد حكايته كاف في بيان بطلانه ، بل إن الرجل المسلم العامي صاحب الفطرة السليمة التي لم تدنس بمثل ما جاء في البيان إذا سمع ذلك الكلام الذي ذكرتموه ، فلابد أن يمجه ويرفضه ويستغربه ، وإذا لم تصدقوني فانزلوا إلى الشارع المسلم ، وسلوا الناس وسوف تعرفون النتيجة .

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى

أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم .. [[المائدة : 51]
يقول ابن كثير رحمه الله : » ينهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى ، الذين هم أعداء الإسلام وأهله قاتلهم الله ... ثم تهدد وتوعد من يتعاطى ذلك فقال : [ومن يتولهم منكم فإنه منهم [« أليس من الموالاة لأهل الكتاب اليهود والنصارى ، جعلهم وزراء أو أعضاء في مجلس الشورى (مستشارين) ، إذا كنتم لا توافقون على ذلك فلننظر إلى ذلك الأثر الوارد عن عمر بن الخطاب الخليفة الراشد الذي جعل الله الحق على قلبه ولسانه في فقه تلك الآية : » عن عياض الأشعري أن عمر رضي الله عنه أمر أبا موسى الأشعري أن يرفع إليه ما أخذ وما أعطى في أديم واحد ، وكان له (أي لأبي موسى) كاتب نصراني ، فرفع إليه ذلك ، فعجب عمر ، وقال : إن هذا لحفيظ ، هل أنت قارئ لنا كتاباً في المسجد جاء من الشام ؟ فقال : إنه لا يستطيع ، فقال عمر أجنب هو ؟ قال : لا ، بل نصراني ، قال : فانتهرني وضرب فخذي ، ثم قال : أخرجوه ثم قرأ [يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ... [، قال أبو موسى : والله ما توليته وإنما كان يكتب ، فقال عمر رضي الله عنه : أما وجدت في أهل الإسلام من يكتب ؟ ! ، لا تدنهم إذ أقصاهم الله ، ولا تأتمنهم إذ خونهم الله ، ولا تعزهم بعد أن أذلهم الله « [2] فانظروا كيف رفض الخليفة الملهم اتخاذ كاتب نصراني يطلع على أمور المسلمين واحتج على ذلك بالآية المذكورة ، وأنتم لا تجعلونه كاتباً فقط ، بل تجعلونه رئيساً للوزراء ووزيراً ومستشاراً ومديراً وهلم جرا .

يقول بيان الجماعة في فقرته الأخيرة » ويمثل النصارى مع المسلمين في مصر نسيجاً اجتماعياً وثقافياً وحضارياً واحداً تداخلت خيوطه وتآلفت ألوانه وتماسكت عناصره « ، وإني لأتعجب : هل هذا كلام شرعي يعبر عن رؤية جماعة إسلامية أم أنه موضوع إنشاء من النوع الذي يقال في المجاملات ، وهل من الممكن أن تكون هناك مجاملات على حساب الدين ؟ ، الشيء الغريب والعجيب في آن : أن النصارى أنفسهم لا يقبلون هذا الكلام ولا يرتضونه ؛ لأن هذا الكلام يعنى أن ذاتية النصارى وذاتية المسلمين قد ذابتا وتداخلتا معاً ، وكوننا نسيجاً واحداً مما يعني ضياع الشخصية المستقلة أو التنازل عنها ، وإذا كنت لا تصدقني فسل وأظنك تعلم قبل كثيرين غيرك ماذا يفعل كبير النصارى في بلدك ضد الإسلام والمسلمين ، وعلى كلٍ أنا لا أمنعك الحق في أن تعبر عن أحاسيسك وأشواقك أنت وجماعتك تجاه النصارى ، وابذل لهم كل ما تستطيع من تنازل أو لين في القول ، لكن عليك ألا تتعدى بهذه الأحاسيس والأشواق إطار جماعتك إلى المسلمين كلهم ، فما أظن أن أحداً خولك الحديث باسم المسلمين في بلدك .

ثم أقول : وهب أن الذي ذكرته أنت صحيح وهو غير صحيح لكن نفترض ذلك أنه كان هو الواقع فعلاً ، فهل وجود الاختلاط وعدم التمايز بين المسلمين والنصارى يذكر على سبيل المدح أم يذكر على سبيل الذم وعلى سبيل تنبيه المسلمين على التمايز عن الكفار والابتعاد عن مشابهتهم أو التشبه بهم ؟ ! ألم تسمعوا عن » الشروط العمرية التي اشترطها عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أهل الذمة ، والتي فيها منع تشبه أهل الذمة بالمسلمين والتي تحول دون حدوث ذلك النسيج المزعوم .

ألم تسمعوا عن كتاب صنفه العالم الجليل شيخ الإسلام ابن تيمية « وهو يحذر فيه أشد التحذير من ذلك النسيج الواحد الذي تدعونه ، إنه كتاب » اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم « فارجعوا إليه فلعله يردكم عن إدعاء ذلك النسيج.

على كل حال إن لم تكونوا قد سمعتم بهذا ولا بذاك ، فلا علينا أن نسمعكم بعض أحاديث الرسول المصطفى التي تحرص على تمييز المسلمين عن غيرهم من

الكافرين سواء أكانوا من أهـل الكتاب ، أومن غيرهم ، و تحول بين المسلم وحدوث ذلك النسيج (الحضاري والاجتماعي والثقافي) الموحد .

يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- : منكراً على المسلمين ما يقع منهم من مشابهة ومتابعة وموافقة لليهود والنصارى ، ومنفراً لهم من ذلك وحاضاً على تركه، يقول : » لتتبعُن سَنَن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جُحْر ضب تبعتموهم ، قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ « [3]، قال ابن حجر رحمه الله : » قوله : قال فمن : هو استفهام إنكار ، والتقدير : فمن هم غير أولئك « [4]

ويقول -صلى الله عليه وسلم- » من تشبه بقوم فهو منهم « [5] قال ابن تيمية : » إسناده جيد وأقل أحواله : أنه يقتضي تحريم التشبه بهم « وقال صلى الله عليه وسلم : » إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم « [6] ولا يُكَمّل رد السلام ، بخلاف المسلم الذي يقال له : وعليكم السلام ورحمة الله ، أليس في هذه الأحاديث منعٌ للنسيج الثقافي والحضاري والاجتماعي الواحد ، ألا يشعر المسلم من مثل هذه التوجيهات حرص الإسلام على إقامة حاجز نفسي بين المسلم وغيره، يمنعه من الانجذاب نحوه ، وإذابة الفوارق بينه وبين غيره .

وفي النهاية أقول لأصحاب البيان : ما الغرض ، ومن المستفيد ، ومن يرتضي ذلك البيان ؟

فإن كان الغرض أن يرضى عنكم » الأسياد « المحليون أو غيرهم ، فأنا أقول لكم تصديقاً لقول ربي مادمتم ترفعون شعار الإسلام ، ولو تنازلتم عن أمور كثيرة ، فلن يرضوا عنكم ، كما قال تعالى : ﴿ ولن ترضي عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ [البقرة : 120] أما إن كان الغرض هو الدفاع عن الإسلام ، فإن ذلك لا يمكن أن يتم عبر العبث بأحكامه أو التنازل عنها .

وأما المستفيد ، فلا يستفيد من هذا البيان إلا أعداء الله ورسوله والمؤمنين لأن أي محاولة لتغيير أو تحوير في ثوابت الإسلام ومفاهيمه لن تصب إلا في مصلحتهم، ولن تؤدي إلا إلى تزييف وعي الشعوب المسلمة ، وبالتالي رواج الأباطيل بينها ، وسهولة انقيادها للطواغيت .

وأما الرضا ، فإن هذا البيان لا يرضي الله ولا رسوله ولا المؤمنين ؛ لأنه لايمكن الرضا بما فيه خروج على أحكام الشريعة .

وأخيراً فلي رجاء : هل أطمع في بيان آخر يتم فيه الرجوع إلي الحق والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل ، ولأن يكون المرء ذيلاً في الحق خير له من أن يكون رأساً في الباطل ، آمل ذلك ، لا سيما أنكم إناس مسلمون تحبون الله ورسوله وتودون خدمة دينكم ، وإن شاء الله لن يخيب ظني فيكم ولعل هذا البيان كان فرصة لنا لنقدم هذه الأمور التي ربما تكون قد غابت عن بعضهم ، لا سيما وأن بعض المناوئين لأحكام الشريعة ، يبثون مثل هذه الأقوال في مقالاتهم وأحاديثهم .

والله الموفق والهادي إلى صراط مستقيم .

---

(1) صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير ح/1731 .
(2) تفسير ابن كثير 2/108 ، فتح الباري 13/196 .
(3) البخاري كتاب الاعتصام بالسنة باب/14 ، ح/7320 .
(4) فتح الباري 13/201 .
(5) أبو داود 4/314 ، مسند أحمد 3/142 وصحح إسناده أحمد شاكر والألباني .
(6) البخاري كتاب الاستئذان باب 22 ، ح/6258 .

خواطر في الدعوة

بين المداراة والمداهنة

محمد العبدة

إن الفرق كبير بين المداراة والمداهنة ، فالأولى سنة ، والثانية معصية والمسلم الذي يتصدى لدعوة الخلق ، وتعليمهم ، وهدايتهم لطريق الحق ، سوف يلقى كثيراً من العنت ، وكثيراً من الأذى ، وسيجد بالمقابل أصنافاً من الناس فيهم خير مشوب بجهل ، أو غفلة ، فإذا صبر على أمثال هؤلاء ، واستعمل المداراة على وجهها الصحيح ، فإن العاقبة له بإذن الله ، وما المداراة إلا حسن العشرة غير مشوبة بمعصية ، أو كما وصفها الشيخ رشيد رضا بالكياسة التي لا تهدم حقاً ، ولا تبني باطلاً ، وحتى يكون للداعية أثره ، وشخصيته المتميزة ، لابد أن يبتعد عن المداهنة ، والفرق بينهما أن المداري يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق ، أو يرده إليه ، أو يرده عن الباطل ، والمداهن يتلطف به ليُقره على الباطل ، ويتركه على هواه ، فالمداراة لأهل الإيمان ، والمداهنة لأهل النفاق « [1] .

والدليل على المداراة ما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : » استأذن رجل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-فقال : ائذنوا له بئس أخو العشيرة أو ابن العشيرة ، فلما دخل ألان له الكلام : قلت : يا رسول الله ، قلت الذي قلت ثم ألنت له الكلام ، قال : أي عائشة ، إن شر الناس من تركه الناس ، أو ودعه الناس إتقاء شره « [2] وفي البخاري في كتاب الأدب ، ما جاء عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال : » إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم . « [3]

قال العلماء : » ما كان من أمر الدين ، مثل أن يفتي بغير الحق أو يكذب أو يترك شيئاً من الواجبات ، فهذه مداهنة محرمة ، والمداراة مثل أن تعطيه مالك أو تحسن إليه .. « [4] . ويفصل ابن بطال أنواع المداراة حتى يكون المسلم على بينة من أمره فيقول : » والمداراة من أخلاق المؤمنين ، وهي خفض الجناح للناس ولين الكلمة ، وترك الإغلاظ لهم في القول ، وذلك من أقوى أسباب الألفة ، فالمداراة مندوب إليها ، والمداهنة محرمة ، والفرق أن المداهنة من الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه « . [5]

وإذا فقه المسلم حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، وكيف أنه استعمل المداراة ليعلم المسلمين آداب الدعوة ، مع أن الله سبحانه وتعالى عصمه من الناس ، وإذا فقه أقوال العلماء الذين نقلنا عنهم ، فسوف يتألف أناساً ، أو يبعد شر آخرين ، وأما الفظ الجواظ فلا ظهراً أبقى ، ولا أرضاً قطع ، وهذه هي الدنيا بصفوها وكدرها .

---

(1) ابن الأزرق / بدائع السنن 2/17 والكلام لابن القيم .
(2) البخاري كتاب الأدب ح/6054 ، مسلم ، كتاب البر ح/2591 .
(3) ذكره البخاري في ترجمة باب المدارة مع الناس ، ورجح ابن حجر انقطاعه الفتح 10/544 .
(4) العواصم والقواصم 8/185 .
(5) فتح الباري 10/454 .

دراسات اقتصادية

الإسلام والقضايا الاقتصادية المعاصرة

المشكلة الاقتصادية وعلاجها من المنظور الإسلامي

- 5 -

د . محمد عبد الله الشباني

في الحلقتين السابقتين الثالثة والرابعة ناقشنا علاقة التوزيع بعنصرين من عناصر الإنتاج وهما عنصر العمل والموارد الطبيعية ومدى تأثيرها في وجود المشكلة الاقتصادية وكيفية معالجة الإسلام لهذين العنصرين من ناحية أهميتهما النسبية في العملية الإنتاجية ، وعلاقتهما التأثيرية في بروز المشكلة الاقتصادية .

وفي هذه الحلقة سوف نناقش دور رأس المال باعتباره من عناصر الإنتاج في العملية الإنتاجية وأهميته النسبية في التأثير في بروز المشكلة الاقتصادية .

والمفهوم الاقتصادي لرأس المال : هو كل ثروة تدخر وتستخدم في إنتاج ثروة أخرى ، فهو بهذا يشمل الكثير من الثروات بل الثروات المدفوعة على الإنتاج كالأرض والمناجم والمواد الأولية وأدوات الإنتاج كالآلات والمنشآت الصناعية والزراعية والتجارية والنقد ، وينقسم رأس المال إلى ثابت وهو الذي يستخدم أكثر من مرة واحدة في الإنتاج ورأس مال متداول وهو الذي لايستخدم غير مرة واحدة مثل البذور والمواد الأولية .

يحتاج تكوين رأس المال إلى توافر ثلاثة عوامل هي الموارد الطبيعية والعمل والادخار ، والادخار ضرورة لتكوين رأس المال حيث إن الادخار عامل يوجد لأنه يعمل على تحريك بقية عناصر الإنتاج الأخرى ، وبالتالي يختلف عن الاكتناز ، الذي يقوم على الاحتفاظ بالثروة من غير تفكير في استثمارها .

لقد أعطى الإسلام لرأس المال دوراً مهماً ومؤثراً ، بل إن كثيراً من التوجيهات النبوية والممارسات التي تمت في عهده عليه الصلاة والسلام ومن بعده خلفاؤه تؤكد حقيقة أن لرأس المال دوراً في استغلال بقية عناصر الإنتاج وبالتالي تتخذ السيادة التحويلية للدولة الإسلامية توجها خاصاً فيما يتعلق باستخدام رأس المال في تحريك الاقتصاد ومعالجة المشكلة الاقتصادية ، ومن ذلك ما أشرنا إليه في الحلقة السابقة من حديث قيس بن مسلم الذي رواه البخاري « وعامل عمر الناس على إن جاء عمر بالبذر من عنده فله الشطر ، وإن جاءوا بالبذر فلهم كذا » [1] فعمر رضي الله عنه بهذه السياسة المنهجية أوضح ما لرأس المال من دور في استغلال عنصري العمل والموارد الطبيعية ، ورأس المال المتاح سواء من خلال مساهمة الدولة يكون في تقديم رأس المال التشغيلي أو رأس المال الثابت .

إن المنهجية التي يقوم عليها الإسلام عند معالجته لرأس المال تقوم على أسس وقواعد تساعد على أن يكون لرأس المال دور في معالجة المشكلة الاقتصادية من ناحية استخدامه باعتباره أحد الأدوات المهمة في استغلال واستثمار بقية عناصر الإنتاج ، وبالتالي تقليص التأثيرات السلبية للمشكلة الاقتصادية على الناتج القومي مع تحقيق التوازن فيما يتعلق بتوزيع الدخل القومي .

والقواعد والأسس التي ترتكز عليها المنهجية الإسلامية في معالجتها لاستخدام رأس المال باعتباره عنصراً من عناصر الإنتاج وأداة لمعالجة المشكلة الاقتصادية تتمثل في الأمور التالية :

أولاً : الحث على الادخار واعتباره أهم وسيلة من وسائل تكوين رأس المال وأنه سبب من أسباب انتفاء الفقر فقد روى أحمد في مسنده عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم-أنه قال : « من فقه الرجل رفقه في معيشته » [2] ، والفقه المقصود في هذا الحديث هو جودة الفهم وحسن المعرفة ، والرفق في المعيشة هو القصد في الإنفاق من غير إسراف وفي هذا الحديث توجيه للأمة بمراعاة القصد في الإنفاق والحث على الادخار ، ويساند هذا الحديث ما رواه

أحمد والطبراني في الأوسط عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : ما عال من اقتصد » [3]، والمقصود بالعول في هذا الحديث نفي الفقر عن من اقتصد في نفقته ، فلم يبخل ولم يبذر ، وفعل الرسول عليه الصلاة والسلام يؤكد هذا المقصد من التوجيه فقد روى البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه « أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يبيع نخل بني النضير ويحبس لأهله قوت سنتهم » [4]، ففي هذا العمل من الرسول -صلى الله عليه وسلم-إرشاد للأمة إلى العمل على الإدخار ومراعاة مستقبل الأيام وعدم اكتناز ما زاد عن حاجته من الإنتاج بحيث يساعد في هذا على توافر السلع في الأسواق .

ثانياً : الاهتمام برأس المال العيني بالمحافظة عليه وإطالة العمر الإنتاجي له وتجنب أساليب الاستهلاك المضرة ، التي تؤدي إلى تقصير العمر الإنتاجي فرأس المال العيني هو رأس المال الثابت للمنتج ، الذي يمثل الأداة التي تحرك بقية عناصر الإنتاج ، ولهذا فإن الإسلام يوجه الانتباه إلى الاهتمام برأس المال العيني (الثابت) فقد روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه « أن قدح النبي -صلى الله عليه وسلم-انكسر ، فاتخذ مكان الشعب سلسلة من فضة قال عاصم رأيت القدح وشربت فيه » [5] ، ففي هذا الحديث توجيه واضح وإرشاد بضرورة الاهتمام والعناية برأس المال المنتج والمستخدم بقصد إطالة الاستفادة منه ، فيمكن قياس الآلات والمعدات المكونة لرأس المال العيني على القدح من حيث العمل على صيانة الآلات والمعدات لإطالة عمرها الإنتاجي ، والاهتمام بعدم تشغيل الآلات فوق طاقتها الإنتاجية حتى لا تتعطل أو تخرب قبل نهاية عمرها .

ثالثاً : اعتبار رأس المال الثابت الركيزة الأساسية في تكوين رأس المال الاجتماعي ، وبالتالي العمل على الإبقاء عليه وعدم التفريط ببيعه ، وإن من الواجب في حالة بيع رأس المال الثابت استبداله برأس مال ثابت منتج آخر ، وذلك بقصد توسيع قاعدة رأس المال العيني ، والأهمية النسبية للمحافظة على رأس المال العيني تكمن في مجابهة النقص في القيم الفعلية لرؤوس الأموال النقدية ، ومحاربة التوجه إلى الاستثمار في الأصول النقدية مثل شراء الأسهم والسندات الحكومية وسندات الإقراض بقصد الاتجار بها ، لأن هذه الأصول أصول غير منتجة ، ولهذا فإن من المشاكل التي تواجه الدول الإسلامية التي تستثمر فوائضها النقدية في الأوراق المالية من خلال المضاربة في أسواق المال العالمية النقص في القيم الفعلية لهذه الأموال نتيجة التضخم المالي ، ولهذا فالتوجيه النبوي بالعناية برأس المال العيني باعتباره الركيزة في تكوين رأس المال ومجابهة النقص في القيم الفعلية للنقود يعتبر العلاج لكثير من المشكلات الاقتصادية التي تواجه المجتمعات الإسلامية المعاصرة كما يرشد إليه حديث حذيفة بن اليمان الذي رواه ابن ماجة بسنده أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-قال : « من باع داراً فلم يجعل ثمنه في مثله كان قمناً أن لا يبارك فيه » [6]وحديث عمران بن حصين الذي رواه أحمد بسنده أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-يقول : « من باع عقدة مال سلط الله عز وجل عليها تالفاً يتلفها » [7] ، والمراد بعقدة المال أصل المال أي رأس المال الثابت .

فهذان الحديثان يوجهان الأمة إلى ضرورة التركيز على تكوين رأس المال الثابت وعدم التفريط فيه أو استبداله إلا بمثله أي إعطاء أهمية لرأس المال الثابت باعتباره الأساس في تشغيل بقية عناصر الإنتاج الأخرى وزيادة الناتج القومي .

رابعاً : توجيه الاهتمام لإحلال واستبدال وتجديد رأس المال الثابت ، أي العمل على استمرارية رأس المال الثابت للمنتج بإحلال الأصول الثابتة الجيدة محل الأصول المستهلكة ، وتوجيه الانتباه إلى مراعاة الطاقة الاستيعابية لرأس المال

المنتج بحيث لا يؤدي توسع رأس المال الثابت إلى إعاقة العملية الإنتاجية بالتأثير عليها وبالتناقص ، ويرشد إلى هذا المفهوم ما رواه أبو داود عن عاصم بن لقيط بن صبرة عن أبيه قال : « كنت وافد بني المنتفق ... ، قال : فبينا نحن مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-جلوس إذ دفع الراعي غنمه إلى المراح ومعه سخلة تيعر ، قال : ما ولّدْتَ يا فلان ؟ قال : بهمة ، قال فاذبح لنا مكانها شاة ، ثم قال : لا تحسبن (بالكسر) ولم يقل لا تحسبن (بالفتح) أنا من أجلك ذبحناها ، لنا غنم مئة لا نريد أن تزيد فإذا ولد الراعي بهمة ذبحنا مكانها شاة » [8].

ففي هذا الحديث إرشاد إلى أمرين :

الأول : استبدال الأصل القديم بأصل جديد فالشاة التي تذبح حل محلها بهيمة صغيرة سوف تقوم بالإنتاج والشاة المذبوحة عادة تكون من الغنم التي بدأ إنتاجها في التقلص .

الثاني : أشار الحديث إلى أن الطاقة الاستيعابية للحظيرة وقدرة الراعي علي المحافظة على القطيع هما في حدود مائة رأس من الغنم فالزيادة عن هذا الحد إضعاف للقدرة الإنتاجية لعنصري الإنتاج ، المكان والقوى العاملة (الراعي) ، ويمكن الاسترشاد بهذا التوجيه النبوي بضرورة وضع قواعد وإجراءات يجب اتباعها من قبل المالكين لرأس المال الثابت بمختلف مكوناته وقيام ولي الأمر بالإشراف والمتابعة لتطبيق هذه الإجراءات لما فيه مصلحة الأمة بأجمعها .

---

(1) البخاري ، كتاب الحرث والمزارعة ، باب المزارعة ، بالشطر ونحوه .
(2) مسند أحمد 5/194 .
(3) مسند أحمد 1/447 .
(4) البخاري ، كتاب النفقات 6/190 .
(5) البخاري ، كتاب فرض الخمس 4/47 .
(6) أخرجه ابن ماجة ، كتاب الرهون ، ح/ 2019 ، وصححه الألباني ، صحيح ابن ماجة ح/2490 .
(7) أحمد 4/445 .
(8) أبو داود 1/98 ح 142 ، وصححه الألباني ، صحيح أبي داود 1/29 ح 129 (سخلة) : المولود الجديد من الغنم ، (يتعر) : أي تصبح المراح مكان حفظ للغنم ليلاً بما يشبه الحظيرة (بهمه) : الأنثى للصغير من الغنم .

دراسات تاريخية

عبد الله بن سبأ
في ميزان البحث العلمي
- 2 -

د . محمد آمحزون

تمهيد :

سبق الحديث عن اصل هذه الدراسة وبيان خطأ بعض المنطلقات التي بنى عليها د/عبدالعزيز الهلابي دراسته تلك ، وهي أن (سيف بن عمر لم ينفرد بالروايات الواردة في ابن سبأ ، إنما سبقه الكثير من المؤرخين والعلماء في مصادر معروفة وأن السبئية ليست للذم والتعيير فقط) ويواصل الأخ الكاتب المزيد من الكشف عن تهافت تلك الدراسة .

- البيان -

للسبئية منطلقات خطيرة :

أما قول الأستاذ الهلابي : إن السبئية لا تعني جماعة معينة لها عقيدة محددة ، بل هي مجرد كلمة تعني الذم والتعيير ، فهذا ينافي الواقع التاريخي لهذه الطائفة

التي تزعم أنها هديت لوحي ضل عنه الناس [1]، ويزعم رئيسها أن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند علي [2]، كما أن السبئية يقولون برجعة الإمام وأن الأموات يرجعون إلى الدنيا [3]، ويقولون بالوصية [4]، ويسبون الصحابة [5]، ويزعمون أن علياً دابة الأرض [6]، وأنه شريك النبي في النبوة بل منهم من يقول بأن محمد -صلى الله عليه وسلم-رسول علي ، يقول ابن حزم عنهم : وهذه الفرقة السبئية باقية إلى اليوم فاشية عظيمة العدد ، منهم كان إسحاق بن محمد النخعي الأحمر الكوفي ، ويقولون : إن محمد -صلى الله عليه وسلم-رسول علي [8].
وتقول السبئية كذلك بالحلول والتناسخ [9]، ويعللون اختفاء علي بالغيبة [10].

ويجزم قتادة بن دعامة السدوسي بأن السبئية كغيرها من الفرق الضالة مثل النصرانية واليهودية ، لها أفكارها ومعتقداتها الخاصة بها ، التي تعد بدعة تتناقض مع جوهر الدين المنزل من عند الله ، يقول : والله إن اليهودية لبدعة وإن النصرانية لبدعة ، وإن الحرورية لبدعة ، وإن السبئية لبدعة مانزل بهن كتاب ولا سنهن نبي [11].

ومن السبئية المغيرة بن سعيد البجلي الذي قال عنه ابن قتيبة : وأما المغيرة فكان مولى لبجيلة وكان سبئياً [12].

وقال فيه ابن عدي : لم يكن بالكوفة ألعن من المغيرة بن سعد فيما يروى عنه من الزور عن علي ، هو دائم الكذب على أهل البيت ، ولا أعرف له حديثاً مسنداً [13].

وجابر بن يزيد الجعفي الذي ذكره ابن حبان في عداد السبئية حيث قال : كان جابر سبئياً من أصحاب عبد الله بن سبأ ، وكان يقول : إن علياً يرجع إلى الدنيا [14]، وروي عن سفيان بن عيينة أنه يعني جابر كان يقول : علي دابة الأرض [15].

ومنهم أبو النصر محمد بن السائب الكلبي الكوفي الذي قال فيه ابن حبان : وكان الكلبي سبئياً من أصحاب عبد الله بن سبأ [16]. ويقول عنه الحافظ ابن زريع البصري : رأيت الكلبي يضرب صدره ويقول : أنا سبئي ، أنا سبئي [17].

وأبعد في الخطأ من الزعم السابق بأن السبئية ليست طائفة لها عقيدة محددة قول الدكتور الهلابي بأن السبئية مجرد كلمة تطلق للتعيير والذم [18].

وإذا كانت كذلك ، فلابد أن يكون لها أصل في اللغة ، وعند الرجوع إلى معاجم اللغة وجدنا أن سبأ تعني : من حلف على يمين كاذبة غير مكترث بها والخمر اشتراها ليشربها ، والجلد سبأه أي أحرقه [19].

ولم يقل أحد من علماء اللغة أن السبئية تعني الذم والتعيير ، بل قال صاحب لسان العرب : وسبأ اسم رجل يجمع عامة قبائل اليمن ، وهو اسم مدينة بلقيس باليمن ، والسبأية أو السبئية من الغلاة ، وينسبون إلى عبد الله بن سبأ [20].

وقال الزبيدي : وسبأ والد عبد الله المنسوبة إليه الطائفة السبئية بالمد كذا في نسختنا ، وصحح شيخنا السبئية بالقصر كالعربية وكلاهما صحيح ، من الغلاة ، جمع غال وهو المتعصب الخارج عن الحد في الغلو من المبتدعة ، وهذه الطائفة من غلاة الشيعة [21].

رابعاً - موقف الإمام علي من السبئية :

يقول الدكتور الهلابي : وهذه الروايات التي تروي بأن السبئية قالت لعلي : أنت خالقنا ورازقنا لا يمكن أن يقبلها المنطق السليم ، إذ لا نعرف أحداً من العرب عبد إنساناً واعتقد أنه هو الخالق الرزاق ، لا في الجاهلية ولا في الإسلام ، بل لا نعرف أن أحداً من المسلمين ارتد عن دين الله ارتداداً صريحاً بعد الردة التي حدثت بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم-مباشرة ... لماذا يعاقبهم علي بالإحراق في

النار وهي عقوبة غير مألوفة لا في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم-ولا في عهد الخلفاء الراشدين قبله ؟ ألا يمكن أن يضربهم بالسياط ليستتيبهم فإن لم يتوبوا قتلهم بالسيف ؟ [22] .

إن خبر إحراق علي رضي الله عنه لطائفة من الزنادقة المرتدين تكشف عنه الروايات الصحيحة في كتب الصحاح والسنن والمعاجم ، فقد ذكر الإمام البخاري في كتاب استتابة المرتدين في صحيحه عن عكرمة قال : أتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم ، فبلغ ذلك ابن عباس فقال : لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي النبي -صلى الله عليه وسلم- : (لا تعذبوا بعذاب الله ، ولقتلتهم لقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- : (من بدل دينه فاقتلوه) [23] .

ولفظ الزندقة ليس غريباً عن عبد الله بن سبأ وطائفته ، يقول ابن تيمية : إن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ [24] . ويقول الذهبي : عبد الله ابن سبأ من غلاة الزنادقة ، ضال مضل [25] ، ويقول ابن حجر : عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة ... وله أتباع يقال لهم السبئية معتقدون الإلهية في علي بن أبي طالب ، وقد أحرقهم علي بالنار في خلافته [26] ، ويقول في موطن آخر بأن أحد معاني الزندقة الادعاء بأن مع الله إلهاً آخر [27] ، وهذا المعنى قال به ابن سبأ وأتباعه ، وجزم بذلك أصحاب المقالات والفرق والمحدثون والمؤرخون .

وروى خبر الإحراق أيضاً أبو داود في سننه : في كتاب الحدود باب الحكم فيمن ارتد [28] ، والنسائي في سننه : في كتاب الحدود [29] ، والحاكم في المستدرك ، في كتاب معرفة الصحابة [30] ، والطبراني في المعجم الأوسط من طريق سويد بن عقلة أن علياً بلغه أن قوماً ارتدوا عن الإسلام ، فبعث إليهم فأطمعهم ، ثم دعاهم إلى الإسلام فأبوا ، فحفر حفيرة ثم أتى بهم فضرب أعناقهم ورماهم فيها ، ثم ألقى عليهم الحطب فأحرقهم ثم قال : صدق الله ورسوله [31] .

وروي من طريق عبد الله بن تريد العامري عن أبيه قال : قيل لعلي إن هنا قوماً على باب المسجد يدعون أنك ربهم ، فدعاهم فقال لهم : ويلكم ما تقولون ؟ قالوا : أنت ربنا وخالقنا ورازقنا ، فقال : ويلكم إنما أنا عبد مثلكم ، آكل الطعام كما تأكلون ، وأشرب كما تشربون ، إن أطعت الله أثابني إن شاء وإن عصيته خشيت أن يعذبني ، فاتقوا الله وارجعوا ، فأبوا : فلما كان الغد غدوا عليه فجاء قنبر فقال : قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام ، فقال أدخلهم ، فقالوا كذلك فلما كان اليوم الثالث قال : لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبث قتلة ، فأبوا إلا ذلك فخد لهم أخدوداً بين باب المسجد والقصر وقال : احفروا فأبعدوا في الأرض وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود وقال : إني طارحكم فيها أو ترجعوا فأبوا أن يرجعوا فقذفهم فيها حتى إذا احترقوا قال :

إني إذا رأيت الأمر منكرا أوقدت ناري ودعوت قنبرا

قال الحافظ ابن حجر : وهذا سند حسن [32] .

خامساً - سيف بن عمر في الميزان :

يتحامل الدكتور الهلابي على الإخباري سيف بن عمر التميمي تحاملاً شديداً ، ويقول بأن سمعته باعتباره محدثاً سيئة للغاية ، فقد حكم أصحاب الجرح والتعديل عليه بالضعف واتهموه بوضع الأحاديث على الثقات وبالزندقة ، كما يتهمه بالتحيز والتعصب ، وأنه عبث بروايات التاريخ الإسلامي ، خصوصا ما له صلة بالفتنة وما تلاها [33] .

والحقيقة أن هذا الكلام مبالغ فيه ، إذ يجب أن نفرق بين سيف بن عمر باعتباره محدثاً من جهة وباعتباره إخبارياً من جهة أخرى ، فالطعن فيه من جهة الحديث وهو أمر صحيح لا ينسحب بالضرورة على الأخبار التي يرويها .

أثنى الحفاظ على سيف بالخبرة والمعرفة في التاريخ ، فقال الحافظ الذهبي : كان إخبارياً عارفاً [34] ، وقال الحافظ ابن حجر : ضعيف في الحديث عمدة في التاريخ [35] .

على أن الحافظ ابن حجر لم يرض باتهامه بالزندقة وقال : أفحش ابن حبان القول فيه [36] .

ولسنا ندري كيف يصح اتهامه بذلك وروايته في الفتنة وحديثه جرى بين الصحابة رضوان الله عليهم أبعد ما يكون عن أسلوب الزنادقة ، وكيف يستقيم اتهامه بالزندقة وهو الذي فضح وهتك سر الزنادقة !

ويمكن القول : إن رواية سيف بعيدة كل البعد أن تضعه موضع هذه التهمة ، بل هي تستبعد ذلك ، إذ إن موقفه فيها هو موقف رجال السلف في احترامه للصحابة وتنزيهه لهم عن فعل القبيح ، فقد انتحى جانباً عن أبي مخنف والواقدي فعرض تسلسلاً تاريخياً ليس فيه تهمة للصحابة ، بل يُظْهِر منه حرصهم على الإصلاح وجمع الكلمة ، وهو الحق الذي تطمئن إليه النفوس ، إذ يسير في اتجاه الروايات الصحيحة عند المحدثين .

وإذا كان المحدثون يتساهلون في الرواية عن الضعفاء إن كانت روايتهم تؤيد أحاديث صحيحة موثقة ، فلا بأس إذن من الأخذ بهذا الجانب في التاريخ وجعله معياراً ومقياساً إلى تحري الحقائق التاريخية ومعرفتها ، ومن هذا المنطلق تتخذ الأخبار الصحيحة قاعدة يقاس عليها ما ورد عند الإخباريين مثل سيف والواقدي وأبي مخنف ، فما اتفق معها مما أورده هؤلاء تلقيناه بالقبول ، وما خالفها تركناه ونبذناه .

ومما لا شك فيه أن روايات سيف في أغلبها مرشحة لهذه المعاني ، إذ تتفق وتنسجم مع الروايات الصحيحة المروية عن الثقات فيما يتعلق بوجود ابن سبأ علاوة على أنها صادرة ومأخوذة عمن شاهد تلك الحوادث أو كان قريباً منها .

أما وصف سيف بالتحيز فأمر غير صحيح ، إذ أن تعصب سيف المزعوم ترده أحوال قبيلته بني تميم وموقفها من الفتنة ، فمن المعروف أنهم ممن اعتزل الفتنة مع سيدهم الأحنف بن قيس يوم الجمل [37] ، وبالتالي فإن روايته للفتنة تشكل من خلال مضمونها على العموم مصدراً حيادياً ومطلعاً في آن واحد .

سادساً - تحميل روايات سيف ما لا تحتمل :

يقول الدكتور الهلابي : وما يهمنا هنا هو الرواية الأولى ، إذ أن سيفاً أراد أن يقول بطريق غير مباشر : إن الخليفة علياً لم ينضم إليه أحد من المهاجرين والأنصار ، وإنما فقط سبعمائة من الكوفيين والبصريين ، ومن يكونون هؤلاء الكوفيين والبصريين في المدينة ؟ لابد أنه يريد أن يقول بطريق غير مباشر أيضاً : إن أنصار الخليفة علي هم قتلة عثمان ، مع العلم أنه ذكر في مكان آخر أن قتلة عثمان من أهل البصرة قتلوا مع حكيم بن جبلة العبدي قبل أن يقدم علي وجيشه البصرة ، فسيف يهدف ضمنياً إلى النيل من الخليفة علي ، وفي الوقت نفسه يريد أن يعارض تلك الروايات التي تبالغ في عدد المشاركين في جيش علي من أهل بدر خاصة والصحابة من المهاجرين والأنصار عامة [38] .

من الملحوظ هنا أن الدكتور الهلابي يحاول جاهداً أن يحمل روايات سيف ما لا تحتمل من المعاني ، ويتجاهل روايات أخرى لا تتفق مع خطه الذي رسمه مسبقاً تجاه سيف ، فيَحْكُم بلا دليل ظاهر على أجزاء من رواياته ويسكت عمداً عن ذكر أجزاء أخرى لأنها تؤدي الغرض من فهم الروايات بالشكل المطلوب ، وهو مع هذا يستعمل عبارات غير علمية وغير دقيقة مثل : أراد أن يقول بطريق غير مباشر ، يهدف ضمنياً .

فمن المآخذ على الدكتور الهلابي أنه نسب إلى سيف ما لم يرو بقوله : ... إن الخليفة علياً لم ينضم إليه أحد من المهاجرين .

فالشطر الأخير من هذه العبارة مأخوذ من رواية سيف : وخرج معه أي مع علي من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين في سبعمائة رجل [39] ، أما الشطر الأول من العبارة : إن الخليفة علياً لم ينضم إليه أحد من المهاجرين والأنصار فهو من استنتاج الدكتور الهلابي .

وهذا الاستنتاج ليس في محله ، إذ يتناقض مع ما رواه سيف حول هذا الموضوع ، فقد ذكر أسماء الصحابة من المهاجرين والأنصار الذين انضموا إلى علي ، ومن ذلك قوله فأجابه رجلان من أعلام الأنصار : أبو الهيثم بن التيهان وهو بدري وخزيمة بن ثابت [40] ، وقوله : وأرسل علي الحسن وعماراً بعد ابن عباس ... [41] ، فلما نزلوا ذي قار دعا علي القعقاع بن عمرو فأرسله إلى البصرة [42] .

وهؤلاء من المهاجرين ، وقوله : قال الشعبي : بالله الذي لا إله إلا هو ، ما نهض في تلك الفتنة إلا ستة بدريين ما لهم سابع أو سبعة ما لهم ثامن [43] .

والحق أن الصحابة الذين انضموا إلى علي رضي الله عنه أو إلى مخالفيه (طلحة والزبير وعائشة ومعاوية رضي الله عنهم) لم يكونوا كثرة كما توحي بذلك بعض الروايات التي تبالغ في عدد المشاركين من الصحابة في الفتنة ، وإنما كانوا قلة كما جاءت بذلك الأخبار الصحيحة في كتب الحديث .

روى عبدالرزاق في المصنف والإمام أحمد في المسند بسند صحيح عن محمد بن سيرين قال : هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-عشرات الألوف ، فلم يحضرها منهم مائة ، بل لم يبلغوا ثلاثين [44].

وروى ابن بطة بإسناده إلى بكير بن الأشج أنه قال : أما إن رجالاً من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان ، فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم [45] .

وروى الحافظ ابن عساكر بسنده إلى الحسن البصري أن رجلاً قال لسعد بن أبي وقاص : هذا علي يدعو الناس ، وهذا معاوية يدعو الناس ، وقد جلس عنهم عامة أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، فقال سعد : أما وإني لا أحدثك ما سمعت من وراء وراء ، ما أحدثك إلا ما سمعته أذناي ووعاه قلبي ، سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-يقول : إن استطعت أن تكون عبد الله المقتول ولا تقتل أحداً من أهل القبلة فافعل [46] .

هذا وإن رواية سيف عن الصحابة الذين شاركوا في الفتنة تسير في هذا الاتجاه ولا تحيد عنه .

أما قول الدكتور الهلابي في تساؤلاته : ومن يكونون هؤلاء الكوفيين والبصريين في المدينة ؟ لابد أنه يريد أن يقول سيف بطريق غير مباشر أيضاً إن أنصار الخليفة علي هم قتلة عثمان ، مع العلم أنه ذكر في مكان آخر أن قتلة عثمان من أهل البصرة قتلوا مع حكيم بن جبلة قبل أن يقدم علي وجيشه البصرة [47] .

فصحيحة نسبة القول الأخيرإلى سيف [48] ، لكن العبارة الأولى التي فيها أنه اتهم علياً بأن أنصاره هم قتلة عثمان ، فلم يقل بها سيف إطلاقاً ، ولا ذكرها الإمام الطبري في تاريخه ، وإنما هي من استنتاج الدكتور الهلابي الذي يتقن علم ما وراء السطور ! ولهذا نقول للأستاذ الهلابي : متى كان المنهج العلمي ضرباً من ضروب الاستنتاج العقلي المحض في غياب النصوص والروايات ؟ !

وللإشارة ، فإن أسلوب سيف في روايته لأحداث الفتنة ليس فيه أي نيل أو تجريح لعلي رضي الله عنه بل أثنى عليه بما هو أهله ، إذ نقل عن سعيد بن زيد أنه قال : ما اجتمع أربعة من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-ففازوا على

الناس بخير يحوزونه إلا وعلي بن أبي طالب أحدهم [49] .

وذكر أن علياً حين انطلق إلى البصرة في إثر طلحة والزبير وعائشة كان ينوي الإصلاح وجمع الكلمة [50] ، كما أثنى على دور القعقاع بن عمرو رسول علي في تثبيطه أهل الكوفة عن الاشتراك في الفتنة أولاً [51] ، ثم في مساعيه الإصلاحية بين علي ومخالفيه في البصرة ثانياً [52] .

سابعاً - منهج عجيب إزاء الأحاديث النبوية :

يقول المؤلف : ومع أني أرجح أن (حديث الحوأب حديث موضوع ... [53] .

فمن الملاحظ هنا أن الدكتور الهلابي يتعامل مع الأحاديث النبوية كما يتعامل مع الروايات التاريخية ، فيقبل ويرفض ، ويعلل ويجرح حسب اجتهاده الشخصي ، مع العلم أن مصطلح الحديث فن جليل وخطير بلغ من الدقة والإحكام أرقى ما يمكن أن تصل إليه الطاقة البشرية ، فأحكامه ومصطلحاته ذات دلالة واضحة ومحددة لا تقبل التلاعب فيها ، ولذلك يكون الحديث إما صحيحاً وإما ضعيفاً وإما موضوعاً ، وفق الموازين النقدية للرواية .

وبما أن الأحاديث هي غير الروايات التاريخية ، فينبغي للتثبت من صحتها أن يتم الرجوع إلى العلماء المختصين في علم الحديث النبوي .

وحديث الحوأب حديث صحيح قال عنه الحافظ ابن كثير : إسناده على شرط الصحيحين [54] ، وقال الحافظ الذهبي : هذا حديث صحيح الإسناد [55] وقال الحافظ بن حجر في الفتح : أخرجه أحمد وأبو يعلى والبزار وصححه ابن حبان والحاكم ، وسنده على شرط الصحيح [56] .

ورواية الحديث كما نقلها الإمام أحمد : (حدثنا عبد الله ، حدثني أبي حدثنا يحيى عن إسماعيل ، حدثنا قيس قال : لما أقبلت عائشة بلغت مياه بني عامر ليلاً ، نبحت الكلاب ، قالت : أي ماء هذا ؟ قالوا : ماء الحوأب ، قالت : ما أظنني إلا راجعة ، فقال بعض من كان معها : بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله عز وجل ذات بينهم ، قالت : إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-قال لها ذات يوم : كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب ! [57] .

ثامناً - الطبري سمى السبئية :

يقول الدكتور الهلابي : إن الإمام الطبري لم يسم طائفة عبد الله بن سبأ سبئية، وإنما وضع هذه التسمية سيف بن عمر لتنسجم مع رواياته حول ابن سبأ ودوره في الفتنة [58] .

لقد فات المؤلف بأن الإمام الطبري ذكر السبئية في تفسيره جامع البيان عند شرحه لقوله تعالى : ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾ [آل عمران : 7] ، يقول : وهذه الآية وإن كانت نزلت فيمن ذكرنا أنها نزلت فيه من أهل الشرك ، فإنه معني بها كل مبتدع في دين الله ... كان من أهل النصرانية أو اليهودية أو المجوسية ، أو كان سبئياً أو حروريا أو قدرياً أو جهمياً ، كالذي قال ص : فإذا رأيتم الذين يجادلون فهم الذين عنى الله فاحذروهم [59] .

تاسعاً - منهج المستشرقين غير مسلم له على الإطلاق :

يبدو جلياً أن الدكتور الهلابي تأثر بأفكار بعض المستشرقين الذين لا يقرون بوجود ابن سبأ ، إذ نحا منحاهم في إثارة الشكوك حول شخصيته ويقول : بأن هؤلاء نالوا قصب السبق في إثارة قضية عبد الله بن سبأ [60] .

لكن يا ترى إذا كان المستشرقون قد سبقوا الباحثين العرب إلى دراسة شخصية ابن سبأ ، فهل نحن ملزمون بالتسليم بكل ما كتبوه في هذا الصدد ؟

إن المستشرقين كغيرهم من البشر معرضون لعوامل السهو والخطأ ، ومنهم من يشتط في نظرته ، ويحمل في نفسه من الأهواء والرغبات ما يجعله يفرض آراءه المسبقة على النصوص ، ويتعسف في تأويلها نظراً للعداء التاريخي في نفسه للإسلام والمسلمين .

ثم لا يخفى أن المستشرقين الذين أنكروا وجود السبئية كان هدفهم من ذلك التشكيك والإنكار هو إدعاء أن الفتن إنما هي من عمل الصحابة والمسلمين أنفسهم ، وأن نسبتها إلى اليهود أو الزنادقة هو نوع من الدفاع لجأ إليه الإخباريون والرواة المسلمون ليعلقوا أخطاء هؤلاء الصحابة على عناصر أخرى ، فيقول أحد هؤلاء المستشرقين : بأن ابن سبأ ليس إلا شيئاً في نفس سيف أراد أن يبعد به شبح الفتنة عن الصحابة وإنها إنما أتت من يهودي تستر بالإسلام [61] .

عاشراً - ثبوت أخبار ابن سبأ :

إذا افترضنا جدلاً أن الروايات والأخبار المتعلقة بابن سبأ غير صحيحة ومن نسج الخيال ، فكيف يعقل أن يسكت عنها العلماء الأقدمون ولا ينتقدوها ، وهم الذين أصّلوا منهجاً علمياً دقيقاً في نقد الرجال وتتبع أحوالهم !

هذا وقد أثبت كثير من العلماء والرواة في كتبهم خبر ابن سبأ ، ولم يُستدرك عليهم في هذا الشأن إلا ما كان من بعض الباحثين المعاصرين الذين أطلقوا لأنفسهم العنان للخوض في هذا الموضوع بغير سند أو أثرة من علم فأساؤوا بذلك إلى أسس البحث العلمي التي يدعون أنهم أهلها بغير دليل .

حادي عشر - رأي بلا مصدر أو دليل :

الغريب في الأمر أن الدكتور الهلابي رغم تأكيده على أن شخصية ابن سبأ شخصية وهمية ، فإنه لم يدعم رأيه ولو بمصدر واحد متقدم ينفي وجود عبد الله بن سبأ ، فكيف يكون إذاً صاحب منهج علمي ودراسته قائمة على الآراء والفرضيات ، بينما هي تفتقر أساساً إلى الأدلة العلمية ودعم من المصادر المتقدمة القريبة من هذه الأحداث ؟ !

وفي الختام نقول : إن تشكيك بعض الباحثين المعاصرين في عبد الله بن سبأ، وأنه شخصية وهمية ، وإنكارهم وجوده ، لا يستند إلى الدليل العلمي ولا يعتمد على المصادر المتقدمة ، بل هو مجرد استنتاج يقوم على فرضيات وتخمينات شخصية تختلف بواعثها حسب ميول مُتبنيها واتجاهاتهم .

---

(1) أبو عمر المقدسي : كتاب الإيمان ، ص 249 .
(2) الجوزجاني : المصدر نفسه ، ص 38 .
(3) أبو الحسن الأشعري : المصدر نفسه ، ج1 ص 86 .
(4) القمي : المصدر السابق ، ص 20 .
(5) النونحتى : المصدر السابق ، ص 44 .
(6) الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج1 ، ص 384 .
(7) الملطي : المصدر السابق ، ص 15 . (هامش 7 غير مشار إليه في النص - ماس-)
(8) ابن حزم : الفصل في الملل والنحل ، ج4 ص 186 .
(9) البغدادي : المصدر السابق ، ص 241 .
(10) الكرماني : الفرق الإسلامية ، ص 34 .
(11) الطبري : جامع البيان ، ج6 ، ص 189 .
(12) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ج2 ، ص 149 .
(13) الذهبي : الميزان ، ج4 ، ص 162 .
(14) ابن حبان : المجروحين ، ج1 ، ص 208 .
(15) الذهبي : الميزان ، ج1 ، ص 384 .
(16) ابن حبان : المجروحين ، ج2 ، ص 253 .
(17) ابن حجر : التهذيب ، ج9 ، ص 179 .
(18) الهلابي : المرجع السابق ، ص 46 .

(19) العكبري : المشوف المعلم ؛ وابن منظور : لسان العرب ، ج2 ، ص 77 ؛ والزبيدي : تاج العروس ، ج1 ، ص 75 .
(20) ابن منظور : المصدر السابق ، ج2 ، ص 77 .
(21) الزبيدي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 75 .
(22) الهلابي : المرجع السابق ، ص 52 .
(23) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح ، كتاب استتابة المرتدين ، ج8 ، ص 50 .
(24) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج28 ، ص 483 .
(25) الذهبي : الميزان ، ج2 ، ص 426 .
(26) ابن حجر : لسان الميزان ، ج3 ، ص ص 290 ، 289 .
(27) ابن حجر : الفتح ، ج12 ، ص 270 .
(28) أبو داود : السنن ، كتاب الحدود ، ج4 ، ص 126 .
(29) النسائي : السنن ، كتاب الحدود ، ج7 ، ص 104 .
(30) الحاكم : المستدرك ، كتاب معرفة الصحابة ، ج3 ، ص 538 .
(31) ابن حجر : الفتح ، ج12 ، ص 170 .
(32) ابن حجر : الفتح ، ج12 ، ص 270 .
(33) الهلابي : المرجع السابق ، ص ص 39 ، 40 ، 67 .
(34) الذهبي : الميزان ، ج2 ، ص 255 .
(35) ابن حجر : التقريب ، ج1 ، ص 344 .
(36) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 344 .
(37) الطبري : تاريخ الرسل ، ج4 ، ص 498 ، 500 ، 501 .
(38) الهلابي : المرجع السابق ، ص 43 .
(39) الطبري : تاريخ الرسل ، ج4 ، ص 455 .
(40) المصدر نفسه ، ج4 ، ص 447 .
(41) المصدر نفسه ، ج4 ، ص 487 .
(42) المصدر نفسه : ج4 ، ص 488 .
(43) المصدر نفسه ، ج4 ، ص 447 .
(44) رواه عبدالرزاق في المصنف ، ج11 ص357 ؛ وابن كثير عن أحمد في البداية والنهاية ، ج7 ، ص 253 .
(45) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ج4 ، ص 1242 .
(46) ابن عساكر : المصدر السابق (المطبوع) ، ص 485 ، 486 .
(47) الهلابي : المرجع السابق ، ص 43 .
(48) الطبري : تاريخ الرسل ، ج4 ، ص ص 470 ، 472 .
(49) المصدر نفسه ، ج4 ، ص ص 447 ، 448 .
(50) المصدر نفسه ، ج4 ، ص 471 .
(51) المصدر نفسه ، ج4 ، ص 484 .
(52) المصدر نفسه ، ج4 ، ص ص 487 ، 489 .
(53) الهلابي : المرجع السابق ، ص 43 .
(54) ابن كثير : المصدر السابق ، ج6 ، ص 241 (56) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج2 ، ص 125 .
(57) ابن حجر : الفتح ، ج13 ، ص 55 .
(58) أحمد : المسند ، ج23 ، ص 137 .
(59) الهلابي : المرجع السابق ، ص 61 .
(60) الطبري : جامع البيان ، 3/3/121 .
(61) الهلابي : المرجع السابق ، ص 58 .
(62) عبدالرحمن بدوي : مذاهب الإسلاميين ج2 ، ص 22 .

نصوص شعرية

رؤى خارج القيد

تركي المالكي

(1)

قيود تخنق الأفكار والأعناقْ ! .

(......................)
وتعبرُ في رؤاي اليوم (أشواقُ) ..
غدا حُلْمي بجوف (القبو) .. مصباحاً
وما بين الحصار هَمَى
على جرحي .. همى ترياقْ !
أشدّ العين من أسر التّشُيّؤ ..
من خطى قدمي أحررها .. !
وأبعثها لتبحر في المدى ..
وتعانق الآفاقْ !
ويهوي السوطُ .. والجلادُ يُزْبدُ ..
و (الصدى) ضجّت به (الأبواقْ) !
وينفتح المدى .. يمتدّ ! ..
وينكمش (الصدى) .. يرتدّ ! ..
ورغم لفائف الظلماء ..
أبصر أنجماً شقّت ستار الليلْ ! ..
ورشّتْ في المدى حزماً من الأضواءْ !
يَرفّ الآن في سمعي صهيلُ الخيلْ !
وتمتزج الدماءُ بشوقها .. و (الليلْ) ..
يضجّ منادياً بالويلْ ! ..
وتلعقُ خطوَهُ (الأصداء) ! :
(لكم يا مارقين الويلْ ، لكم يا مارقي ..)

(2)

(وأعلم أن (أشواقي) ..
غدت في محنتي الترياقْ ..
فأشتاقُ ! .. وأشتاقُ ! ..
وأمنحُها دمي .. قلبي ..
سنيّ العمر .. والأحداقْ !
وأنْبُت بين (أسوار الجفاف) نخيلةً ..
تشتاقُ للثمرة !
وأسواط السموم تهزّها والشمسْ ..
تَصُبّ شعاعَها ناراً ! ..
ورغم الجدب والإعصار ..
تَبْسُقُ بيننا شجرة ! !
تمد فروعها في الأفق .. منتشرةْ
غدت مأوى (الطيور) الهاجراتِ القيدْ !
وللجوعى .. غدتْ ثمرةْ ! ..

(3)

(رُؤى) لم تندرج في (عالم الأوهامْ) !
تعين على غيار الصمت والأيامْ ..
و (أحلامٌ) تمارسُ فعلها ..
لتُحَطّمَ الأغلال و (الأصنامْ) !
وننسجُ حولها عملاً ..
يُهيّءُ للهدى أقوامْ ..

ويجري العام بعد العامْ ! ..
ويبقى الشوقُ وقّاداً ..
ويسري في الدم الإلهامْ ..
ولا نأسى على ما فاتَ ..
نحلمُ أن نرى زمناً ..
يُجسّدُ هذه (الأحلامْ) ! !

المسلمون والعالم

مأساة المسلمين في ليبيريا
- حقائق وأرقام -

سيكو أبو بكر شريف

يتعرض المسلمون في ليبيريا منذ خمس سنوات ماضية لحملة صليبية ووثنية شرسة تهدف إلى استئصالهم وإنهاء وجودهم على التراب الليبيري ، ونجم عن هذه الحمل قتل ما يزيد عن (100 . 000) ألف مسلم شر قتلة كإحراق الدعاة والأئمة بإشعال النيران فيهم بعد صب البنزين عليهم وفصل رؤوس آخرين عن أجسامهم وقطع ألسن وآذان المؤذنين أحياء وفتح بطون الحوامل واغتصاب النساء والفتيات مما أفرز ما لا يقل عن (10 . 000) يتيم وأرملة ، مع تشريد ما يزيد عن (700 . 000) ألف يعيشون الآن لاجئين في الدول المجاورة مثل غينيا وسيراليون وساحل العاج ونيجيريا وغانا وغيرها فضلاً عن مئات الآلاف الذين نزحوا إلى العاصمة منروفيا ويقيمون في مخيمات ومراكز إيواء تحت حماية قوات حفظ السلام الإفريقية ، ويعانون جميعاً ظروف معيشية وصحية سيئة للغاية ، هذا بالإضافة إلى هدم المساجد والمدارس الإسلامية ومنازل المسلمين ، ومؤسساتهم الاقتصادية مع نهب كافة ممتلكاتهم .

هذا ما يحدث وغيره كثير للمسلمين في ليبيريا في غفلة أو لا مبالاة من الأمة الإسلامية .

ولصراع المسلمين مع النصارى في ليبيريا تاريخ طويل بدأ كما سيتضح منذ عام 1822م ، ولكن كان في شكل غزو تنصيري وفكري منظم وإن كانوا قد نجحوا في تهميش المسلمين وإبعادهم عن شؤون المجتمع ، إلا أنهم فشلوا في تنصيرهم بالمقارنة مع الجهود الجبارة التي بذلوها ويبذلونها لمدة تزيد عن قرن وستة عقود .

نبذة جغرافية وتاريخية :

تقع جمهورية ليبيريا على الساحل الجنوبي الغربي من القارة الإفريقية ويحدها المحيط الأطلنطي جنوباً ، وغينيا كوناكري شمالاً وساحل العاج شرقاً ، وسيراليون غرباً ، تبلغ مساحتها (111 . 000) كيلو متر مربعاً وعدد سكانها (3) ملايين نسمة، يشكل المسلمون (35%) والنصارى (25%) والباقون وثنيون ، ويتكون سكان ليبيريا من (16) قبيلة منها الماندغو والفاي والغولا والماندي وهذه كلها قبائل مسلمة.

تأسست ليبيريا في عام 1847م على يد الإفريقيين المحررين الذين اختطفوا إلى الولايات المتحدة أرقاء ، ولكن ظهرت هناك أصوات وجمعيات إنسانية عارضت الاتجار بالإنسان واستعباده ونادت بتحرير الأرقاء وإعادة توطينهم في وطنهم الأصلي إفريقيا ، وبتأييد ودعم من الحكومة الأمريكية آنذاك باشرت تلك الجمعيات مهمتها الاستيطانية بإيفاد البعثات الاستكشافية إلى القارة الإفريقية لإيجاد مناطق صالحة لتوطين المحررين ، وبعد رحلات عديدة وقع اختيارهم على منطقة

تعرف حالياً بـ (ليبيريا) حيث حصلوا على أراضي من ملوك ورؤساء قبائل المنطقة الأصليين بالشراء تارة وبالمنحة تارة أخرى .

وفي عام 1822م وصلت أول سفينة إلى شاطئ المستوطنة الجديدة محملة بالفوج الأول من المحررين العائدين ترافقهم البعثات التنصيرية بهدف تنصير المنطقة وأهلها من المسلمين ، ثم تتابع وصولهم وظلت الحكومة الأمريكية ممثلة بتلك الجمعيات الإنسانية أو التنصيرية بالأحرى ترعى شؤون المستوطنة الجديدة إلى أن أعلنت استقلالها عام 1847م وسموها (ليبيريا) وتعني (هنا الحرية) لتكون بذلك أول دولة إفريقية ذات سيادة .

وعرف أولئك العائدون بـ (الأمريكيين الليبيريين) ويشكلون (5%) من مجموع سكان ليبيريا إلا أنهم حكموا البلاد لمدة زادت عن (135) سنة أي منذ الاستقلال عام 1847م ولم يسمحوا بمشاركة أغلبية السكان الأصليين في الحكم حتى إذا كان عام 1980م قاد الرئيس صومويل دو الراحل وهو من السكان الأصليين انقلاباً عسكريا ليضع بذلك نهاية لحكمهم واحتكارهم للسلطة .

بداية محنة المسلمين :

حينما أدرك المنصرون فشلهم في تنصير المسلمين ، عمدوا إلى الغزو المسلح في 24 ديسمبر عام 1989م عن طريق تحريض ودعم أفراد بعض القبائل الوثنية المعروفين بكراهيتهم وحقدهم الشديد ضد الإسلام والمسلمين ، فتسللوا عبر حدود ليبيريا مع ساحل العاج حيث تدربوا تحت اسم (الجبهة الوطنية الليبيرية) بقيادة تشارلز تايلور وهو من الأمريكان الليبيريين وأعلنوا أنهم يهدفون إلى الإطاحة بالحكومة تضليلاً للرأي العام العالمي وتغطية على تصرفاتهم الوحشية في المسلمين، وقاموا بعملية تمشيط في طول البلد وعرضه بحثاً عن كل من هو مسلم أو إسلامي للقضاء عليه .

الوضع الأمني والسياسي :

ينقسم البلد الآن إلى ستة أجزاء : العاصمة منروفيا وضواحيها وتسيطر عليها الحكومة الانتقالية بدعم من قوات حفظ السلام الإفريقية التي تدخلت في أغسطس عام 1990 لبسط الأمن عندما انهار الجيش الحكومي أمام المتمردين ، والجزء الثاني تحت سيطرة (الجبهة الوطنية الليبيرية) الفصيل الرئيس والجزء الثالث تسيطر عليه حركة التحرير من أجل الديموقراطية في ليبيريا (يوليمو) والمكونة من بعض المسلمين وفلول جيش الرئيس صومويل دو الراحل الذي اغتيل على يد المتمردين في سبتمبر عام 1990 في ظروف غامضة ، والجزء الرابع يسيطر عليه (مجلس السلام الليبيري) وهي مجموعة وثنية نصرانية ، والجزء الخامس تحت سيطرة المسلمين الذين استردوها من الجبهة الوطنية الليبيرية ، والجزء السادس والأخير تحتله (قوات دفاع قبيلة لوما) وهي وثنية خالصة ، وجميع الفصائل غير الإسلامية متفقة فيما بينها على ضرب المسلمين وإنهاء وجودهم في ليبيريا .

وقعت كل من الجبهة الوطنية الليبيرية وحركة يوليمو باعتبارهما الموجودتين على الساحة وقتئذ اتفاقية الصلح مع الحكومة الانتقالية في مدينة كوتونو عاصمة جمهورية بنين بتاريخ 25/7/93 ، وتضمن الاتفاق وقف إطلاق النار ونزع السلاح، وتكوين حكومة انتقالية جديدة تمثل جميع الأطراف المعنية لتسيير شؤون البلد والإشراف على إجراء الانتخابات بعد ستة أشهر من تاريخ توقيع الاتفاقية إلى غير ذلك من البنود الواردة فيها . وبعد مرور سنة على توقيع الاتفاقية المذكورة ، لم ينفذ منها إلا البند الخاص بتشكيل حكومة انتقالية جديدة ، وقد تعثر تنفيذها بسبب تدخلات خارجية وتعنت كل طرف وسعيه إلى الحصول على نصيب الأسد من المناصب الوزارية والإدارية العليا ، بل لقد زاد الوضع تعقيداً بظهور فصائل جديدة

لم تكن طرفاً في الاتفاقية المذكورة .

القضية الأساسية للمسلمين :

على رغم أن المسلمين هم الضحية الأولى للأحداث الجارية في ليبيريا بسبب عقيدتهم ، إلا أن الاتفاقية المذكورة جاءت مجحفة بحقهم ، حيث لم يرد فيها ما يكفل حرية الاعتقاد والعبادة لجميع المواطنين ، بل وعلى العكس ، نصت على العفو عن المسؤولين عن تلك الاعتداءات الوحشية وإشراكهم في الحكم ، كما أنها لم تتضمن أي ضمانات تحول دون تكرار ما حدث ، الأمر الذي سيجعل من الصعب على المسلمين العودة إلى ديارهم والعيش في أمن واستقرار .

ومن المناسب أن نوضح هنا بأن لا ينخدع أحد بوجود بعض المسلمين في الحكومة الانتقالية الحالية التي قد تزول في أي وقت لأنه تمثيل إسلامي صوري ، الهدف منه إرضاء المسلمين وتثبيطهم وإسكاتهم عن المطالبة بحقوقهم المشروعة ، وبخاصة إذا علمنا أن ذلك التمثيل غير صادر عن تنظيم إسلامي مؤسسي ذي برامج وأهداف ، هذا فضلاً عن وجود حملة شعواء الآن تطالب بتنحيتهم وإخراجهم من الحكومة نظراً لانتمائهم الإسلامي .

النشاط التنصيري :

تقوم المؤسسات الكنسية بأنشطة مكثفة وعديدة في ملاجئ المسلمين في مجالات الإغاثة والصحة والتعليم والشباب وتقديم قروض زراعية وتجارية للاجئين، وكلها تهدف إلى استمالتهم وإخراجهم من دينهم إن استطاعوا ، وقد أقاموا داخل الملاجئ في غينيا وحدها ما لا يقل عن أربعين مدرسة في مختلف مراحلها من ابتدائية ومتوسطة وثانوية ، أما في مجال الإغاثة ، فإن أغلب عمليات التوزيع تكون في أيام الجمعة ويجعلونها متزامنة مع صلاة الجمعة ، وأما نشاطهم في داخل ليبيريا فهو منقطع النظير ويتضح ذلك من الأرقام التالية :

النشاط	العدد
المدارس	13051
الكليات المتوسطة والمعاهد الفنية	500
الجامعات	2
الكنائس والمراكز التنصيرية	48400
المستوصفات والمراكز الصحية	36
المستشفيات	6
المكتبات لترويج الكتب التنصيرية	400
مؤسسات إنسانية وخيرية	6
محطات إذاعية	2
صحف ومجلات	4
دور أيتام	2

وعندما قرر المسلمون الدفاع عن أنفسهم في وجه الاعتداءات المتكررة المشار إليها ، أثارت القوى التنصيرية المحلية والعالمية ضجة كبيرة وكثفت من تحركاتها لمواجهة ما يسمونه الخطر الإسلامي على النصرانية في ليبيريا ، وإليك أيها القارئ الكريم نص التقرير الذي أصدره مؤخراً مجلس الكنائس العالمي وتوصيات اللجنة المنبثقة عنه والخاصة بليبيريا ، مما يدل على حجم المؤامرة التي تحاك ضد الإسلام والمسلمين في هذه الدولة الإفريقية وفي غفلة من الأمة الإسلامية .

نص التقرير [1] :

مدخل : منذ (147) سنة ، قررت (المنظمة الأمريكية للاستيطان) وهي منظمة نصرانية غير حكومية ومقرها في أمريكا إعادة توطين العبيد الإفريقيين

المحررين والمرفوضين من قبل المجتمع الأمريكي ، قررت توطينهم في أي بقعة من القارة الإفريقية ، وكان لهذه المنظمة هدفان رئيسان :

الأول : إعادة توطين هؤلاء الأفارقة في قارتهم الأصلية .

والثاني : استعمال هؤلاء المستوطنين في تنصير إفريقيا .

وقد تم وضع عدة استراتيجيات لتحقيق هذه الأهداف ، ولكن نظراً لبعض الظروف الاقتصادية والعامل الديني بين السكان الأصليين الذين كانوا من المسلمين، فإن تحقيق هذه الأهداف قد واجهته بعض الصعوبات .

وبالاختصار ، وبعد مرور (147) سنة ، فإن هذه الدولة النصرانية المهمة ، مهددة من قبل المسلمين ، أكثر من أي وقت مضى ، وهناك حاجة إلى المزيد من الاهتمام والمساعدة العاجلة لهؤلاء المتقين (النصارى) لقمع هذا الخطر الإسلامي ، ولكن قبل إصدار أي توصيات ، فإنه من الأفضل التعرف على مدى قوة هذه الجماعة (المسلمين) واستيراتيجيتهم ومصادر تمويلهم والعقول المخططة لهم ، وهذه الأعمال تحتاج إلى تشكيل لجان خاصة لدراستها ، وفي ضوء نتيجة هذه الدراسة ، يمكن تأجير متخصصين من أنحاء العالم للتعامل مع الوضع حماية للنصرانيةفي ليبيريا بصفة خاصة وفي أفريقيا بصفة عامة ، ويتوقع وصول تقرير عن ليبيريا بصفة خاصة وعن إفريقيا بصفة عامة من هذه اللجان في أقرب فرصة لكي يتم وضع خطة العمل لعام 1994 .

التقرير الشامل الذي أعدته اللجنة الخاصة بليبيريا 19 مارس 1994

مقدمة :

بناء على طلب مجلس الكنائس العالمي لدراسة الخطر الإسلامي للنصرانية في واحدة من أهم الدول النصرانية في العالم والمسماة ليبيريا الدولة التي استخدمتها الكنائس البورتستانتية قاعدة لمدة قرن وبضع عقود لنشركلام الإله في كل أنحاء أفريقيا ، فقد وجدنا أنه خطر يمكن قمعه ويتطلب التعامل معه بجهود جماعية من قبل جميع الكنائس في العالم ، لأن سقوط النصرانية في هذه المنطقة الاستراتيجية من العالم يعني نكسة كبيرة أخرى للنصرانية ، ونريد من هذا التقرير التعرف على قوة هذه الجماعة الإسلامية ومصادر تمويلها والعقول المخططة لهم .

قوة الجماعة (المسلمين) :

كان للإسلام وجود قبل وصول العبيد المحررين الذين أسسوا تلك الدولة منذ (147) سنة ، فهؤلاء المسلمون تقليديون في عقيدتهم ومحافظون في تمسكهم بدينهم، ولا يسمحون بأي تغيير رغم الحرب النفسية الموجهة إليهم منذ تأسيس دولة ليبيريا الحديثة ، مع ذلك استطاع (المسلمون) ضبط أنفسهم دوما طوال كل هذه الأعمال القمعية والاضطهاد الذي يصفه الكثيرون بأنه قنبلة موقوتة .

هذه الجماعة اليقظة تهيمن عليها قبيلة ماندنجو القوية وهي قبيلة قوية منتشرة في غرب إفريقيا ، وقد حكمت معظم هذه المناطق قبل وصول الأوروبيين في تلك الجهة من إفريقيا بدأت هذه الجماعة تظهر في الآونة الأخيرة أكثر تطرفاً حتى من جيرانهم المسلمين الذين هم أكثر منهم عدداً ، وقد زادت من تصميمهم ، الحرب الأهلية الدائرة في البلد التي دفعتهم إلى حمل السلاح وهو ما يجعل التهديد أكثر خطورة ، حيث يوجد حالياً أكثر من (10 . 000) شاب مسلم يحملون السلاح وينتمون إلى إحدى الفصائل المتحاربة ذات الأغلبية المسلمة وبقيادة أحد المسلمين ، وإن كان لا يوجد عند هذا القائد أي برنامج إسلامي ، وإنما هو ذو طموحات سياسية، وبعبارة أخرى ليس هناك أي تهديد من جهة قائد هذه الفصيلة بل من السهل كسبه

بالمال والسلطة ، ولكن التهديد الحقيقي يكمن في أولئك الشباب (المقاتلين) حيث يؤمن معظمهم بحتمية استعادة حقوقهم ومجدهم الإسلامي .

ويؤيد هذه الأفكار بعض القادة الإسلاميين الراديكاليين وعلى وجه التحديد (الشيخ/ كافومبا كونيه) الرجل الذي يطالب بالمساواة الدستورية للمسلمين في البلد ، ومع ذلك فإنه يعارض الحرب كوسيلة للحصول على حقوقهم .

كما تحظى هذه الفكرة بتأييد بعض رؤساء الجمعيات الإسلامية الخيرية منهم الشاب النشط الذي يرأس لجنة مسلمي إفريقيا الشيخ/ عمر سايو الداعية الديني المتدرب في السعودية وهو مصدر تمويل قومه (المسلمين) لعلاقاته الجيدة مع العرب ، ولكن كيفية تحقيق هدف كافومبا هذا مازال مجهولاً حتى الآن .

في ضوء العوامل المذكورة أعلاه ، نوصي باتخاذ الإجراءات التالية فوراً :

1- إرسال متخصصين إلى ليبيريا من ذوي الخبرة الطويلة في التعامل مع مثل هذه القضايا المعقدة .

2- إغداق الأموال على الكنائس للقيام بحملات صليبية مكثفة .

3- كسب السياسيين الرؤساء ذوي النفوذ والمعنيين بالقضية الليبيرية .

4- التأثير على العالم الغربي للقيام بحملات لصالح القادة السياسيين من النصاري .

5- إيجاد بلبلة في صفوف التجمع ذي الأغلبية المسلمة من الشباب .

6- كسب كبار القادة المسؤولين عن عملية حفظ السلام في البلد للمساهمة في إفشال نشاط هؤلاء الشباب الأصوليين .

7- العمل على إيجاد عداوة في نفوس النصارى ضد المسلمين .

8- دفع رواتب مغرية لعدد كبير من الشبان المنصرين للقيام بأنشطة تنصيرية مكثفة .

9- وضع أنشطة الشخصيات الإسلامية البارزة في البلد ومؤسساتهم تحت المراقبة وتشكيل لجنة خاصة للإشراف على ذلك .

10- التأثير على النصارى في الحكومة للوقوف إلى جانب الكنيسة والعمل من أجل مصالحها في كل المداولات الوطنية .

11- كسب القادة السياسيين الإسلاميين بأي وسيلة كانت ، وختاماً يتم دعم هذه المخطط من قبل جميع النصارى في العالم مع الحرص الشديد عل سرية التنفيذ.

وجميع هذه التوصيات إما قد نفذ فعلاً أو أنها تحت التنفيذ .

(1) تم ترجمة هذا التقرير من اللغة الانجليزية .

المسلمون والعالم

هذا ما يفعله الرافضة في إفريقيا

محمد إدريس

تضعف إسلامية المرء فقهاً وسلوكاً ، إذا قل اهـتمامه بلغة القرآن الكريم ، ويبدو خلله العقدي إذا عاداها ، ويأبى الروافض الفرس إلا أن يظهروا الأدلة الدامغة على التربص بالإسلام عقيدة صحيحة ، ومنهاجاً قويماً ، فهاهم يشيدون صرحاً للفارسية على جسد العربية ، وهي تغرغر في جامعة غانا ، ولا لوم على الروافض إذ يحبون الفارسية ، ولكن اللوم على المسلمين والعرب بخاصة الذين يجهلون أو يتجاهلون مصرع العربية سامدين في مواقع كثيرة وهم مشغولون عنها ، والله

المستعان .
- البيان -
أولاً اللغة العربية تحتضر في جامعة غانا :
تبادرت إلى ذهني صرخة اللغة العربية على لسان حافظ إبراهيم قديماً :
رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي   وناديت قومي فاحتسبت حياتي
ولدت ولما لم أجد لعرائسي   رجالا وأكفاء وأدت بناتي
ومحدثي يشرح لي ما جرى وهو أحد أساتذة اللغة العربية والعلوم الإسلامية بجامعة غانا وأنا مشدوه حقاً مما سمعته منه ، لقد تمثّل لي هذا الوأد حقاً في هذه القصة الغريبة في واقعنا العربي المعاش ! ففي جامعة الليغون أعرق الجامعات في غانا ، بل وفي إفريقيا ، توجد كلية اللغات التي كانت تضم قسم اللغة العربية باعتبارها لغة حية مثل الفرنسية والأسبانية والألمانية والروسية التي تدرس بها ، وفي الحقيقة أنه لا يستفيد من اللغة العربية ولا يقبل عليها في الجامعة إلا الطلبة المسلمون الأفارقة الدارسون فيها ، أو بعض الطلبة النصارى المتخصصون في اللسانيات وهم قلة قليلة ، وكانت الحكومة الغانية ممثلة بوزارة الجامعات هي التي تمول قسم اللغة العربية هذا كباقي اللغات فتحضر الأساتذة وتتكفل بتكلفة السنة التطبيقية المتمثلة في انتقال الطلبة إلى جامعات الأقطار العربية قبل سنة التخرج ، لتطبيق ما أخذوه ميدانياً بين إخوانهم العرب المسلمين ، ولكن منذ أربع سنوات خلت ، توقفت الحكومة عن تمويل كلية اللغات بالجامعة كلها ، وأوكلت هذا إلى حكومات وقوميات كل لغة لتقوم بذلك .
ويقول محدثي : فانبرت كل حكومة وكل قومية تقوم بواجب المسؤولية إزاء لغتها ، فقدمت كل منها دعماً فائضاً ، وتكفلت بجميع احتياجات الأساتذة والطلبة والوسائل التعليمية والمادية ، بل ووضعت أيضاً حوافز مغرية ، حتى يلتحق أكبر عدد ممكن من الطلبة بقسم لغتها !
وبقي أساتذة اللغة العربية السبعة في القسم يرقبون ماذا يحدث ؟ وينتظرون ماذا يقع من حكوماتهم العربية الإسلامية ، فطال الانتظار ، ولم يحدث شيء ! فقرروا إشعار المعنيين لعل قرار الحكومة الجديد لم يصلهم ، أو لم يذكر كثير من حكام العرب المسلمون في غمرة الحياة السياسية ، فتوجهوا إلى سفارات الدول العربية الممثلة في غانا ، وعددها ست سفارات ، وقد وجدوا من ممثلي هذه السفارات لقاءاً لبقاً وودياً ، وترحيباً فيّاضاً ، ووعوداً معسولة فاطمأن لها الأساتذة وتنفسوا الصعداء .
ولكن الأيام توالت والشهور مرت ، والأساتذة يراجعونهم حيناً بعد آخر فلا يجدون منهم غير اعتذارات كثيرة ومبررات واهية ووعوداً عرقوبية ! ! فقرر الأساتذة جزاهم الله خيراً العدول عن السفارات إلى الهيئات والجمعيات العربية الإسلامية ، والثقافية والخيرية المهتمة بنشاط الدعوة ، فراسلوا مؤتمر الدول الإسلامية بهذا الخصوص ، وبعضاً من الهيئات والجمعيات العلمية العربية ، ومجامع اللغة العربية ، والمراكز الثقافية ، بل وبعض الشخصيات العلمية التي تهتم بمثل هذه الموضوعات ، فتلقوا ردوداً مختلفة ، ومنهم من أرسل مبعوثه لمعاينة المكان أي لجامعة غانا لدراسة الموضوع عن كثب مع الأساتذة ، ورفع تقريراً بعدها مفصلاً ومأساوياً عن وضع اللغة العربية إزاء اللغات الأخرى ! ! ولكنه مع الأسف الشديد منذ ذلك الحين لم ير له أثر ! !
ومرت السنتان والثلاث والأربع ، فحزم خمسة أساتذة حقائبهم وغادروا الجامعة نهائياً بعدما ساءت حالتهم المادية ، ليبحثوا عن عمل في مكان آخر وقرر البقية مواصلة جهودهم مصرين على المواصلة مهما كان الأمر ومهما ساءت الأمور.

يقول الأستاذ : وأخيراً فوجئنا بقرار الجامعة في هذه الآونة ومضمونه كالآتي: نظراً لما لوحظ على قسم اللغة العربية من تدهور في نشاطه العام وعدم توفر الشروط المتماشية مع لوائح النظام الجامعي لبقائه ، فإنه تقرر إلغاء هذا القسم تدريجياً بدءاً بالسنة الأولى إلى السنة الرابعة على مدى أربع سنوات ابتداءاً من السنة الدراسية المقبلة 95/1996 م ، وتحل محله اللغة القادرة على توفير الشروط.

ويواصل الدكتور حديثه والألم يبدو على قسمات وجهه : وما أن صدر القرار المذكور بأيام حتى شهدنا رجالاً من الشيعة الرافضة يتحركون في الجامعة بين الإدارة والوزارة بسعي حثيث ، ولما تتبعنا خطاهم أخبرنا بأنهم قدموا طلبهم يحاولون بكل ما يملكون من جهد ووسائل إحلال اللغة الفارسية محل اللغة العربية ، وهم مستعدون أن يوفروا كل الشروط وزيادة في هذا المجال ! !

ويقول محدثي : ولا يستبعد حسب الإشارات والأمارات والأخبار أن تفتح السنة أولى فارسية مكان السنة أولى عربية الموءودة في الموسم الجامعي المقبل ! !

فقلت مواسياً ومتحسراً لمحدثي : وماذا بوسع مثلي ومثلك أن يفعل ؟ ومنذ سنتين مضتا أغلقت الجامعة الإسلامية بالنيجر لمدة سنة ونصف ، وهي التي تموّل من قبل مؤتمر الدول الإسلامية ! ! وليس القسم كالجامعة ! ! فإني أخاف أن يكون قول حافظ قد صدق حقاً ، وها هي ذي اللغة العربية توأد في هذه الرقعة التي يسكنها 54 % من المسلمين الراغبين في تعلم لغة القرآن والإسلام وكأن شيئاً لم يكن ! ! فهل من مجيب ؟ ! وأين التشدق بالقومية والهوية والأصالة ! وإلا فعفن السياسة العلمانية المنبطحة قد طغى على كثير من حكام العرب والمسلمين ! فهل تموت العربية في غانا ؟ !

ثانياً إيران تبني جامعة في كينيا :

ذكر النائب الثاني لرئيس حزب فورد كينيا الحزب المعارض للحكومة البروفيسور/ راشد مزي ، أن هناك خطوات جارية لبناء جامعة في منطقة الساحل بكينيا ، ذكر ذلك فورد فور رجوعه من زيارة استغرقت أسبوعين إلى إيران تلبية لدعوة قدمت إليه لحضور ذكرى الثورة الإيرانية الخامسة بتاريخ 4/6/1994 م ، مع زميله/ فارح معلم عضو في البرلمان لمنطقة لغنيرا كما ذكر أنه على اتصال بالسفارة الإيرانية لتنفيذ الخطة ، وأن الكلام حول المشروع المذكور قد تمت مناقشته خلال زيارته مع مندوب دولة إيران للشؤون الإفريقية ونائب وزير الدراسات العليا الذي أيد الفكرة .

كما أكد بأنه واثق كل الثقة أن الحكومة الكينية لن تعارض الأمر لأنه في مصلحتها ، وذكر أن المندوبين الإيرانيين سيأتون إلى مدينة ممباسا لدراسة الوضع بهذا الخصوص ، وأضاف قائلاً بأن الحكومة الإيرانية قد وعدت بتقديم عشرين (20) منحة دراسية سنوياً لمن يريد من الشباب الكينيين الالتحاق بجامعاتها ، والهدف واضح كالشمس في رابعة النهار .

تعليق :

هذه إيران الدولة الرافضية تقدم كل الجهود لنصرة عقيدتها وإيجاد موطئ قدم لها في كل مكان ، لاسيما في إفريقيا التي تكاد تكون خالية من مذهبها بعد سقوط دولة بني عبيد الباطنية في مصر ، إذ تصطفي بعض الشباب الأفارقة الذين توفر لهم كل الإمكانيات للدراسة في جامعاتها وحوزاتها العلمية ، وتستقطب بعض المسؤولين الذين لا يعرفون حقيقة مذهبها ، وها هي تقوم بالعمل المتواصل لبناء جامعة رافضية في كينيا .

فماذا فعل أكثر أهـل السنة سوى الكلام ، بل إن الجامعات الإسلامية في بعض الدول العربية لم تعد تقبل الطلاب من الدول الإفريقية إلا في أضيق نطاق ،

بينما إيران تشرع لهم الأبواب ؟ إن الأمر جد خطير إذا لم تتخذ كل السبل لقطع الطريق على الرافضة وتوعية الشعوب المسلمة بما تخطط له إيران وملاليها ، فهل نعي عظم الخطر أم على قلوب أقفالها وأولئك يعملون ليل نهار ؟ أدركوا إفريقيا فإنها قارة ا لمستقبل قبل أن يسبقكم إليها القوم بمخططاتهم ولامبالاتنا ! .
- البيان -

المسلمون والعالم

الجزائر :
الحوار بعد خراب الديار

د . عبد الله عمر سلطان

وأخيراً وبعد ثلاث سنوات من القمع والمعالجة الأمنية والنظرة الأحادية التي لا ينقصها قصر النظر الحاد ، استجابت المجموعة العسكرية في الجزائر لنداء المنطق والعقل ، وأيضاً لنداءات الأصدقاء الأجانب وقررت أن تجلس مع ممثلي الشعب الجزائري الحقيقيين وقادة الأمة الذين غُيبوا في غياهب السجون بعد اجراء أول اختبار حقيقي في عالمنا العربي انتهى بالنتيجة المتوقعة : هزيمة ساحقة للمترهلين من قادة التحرير وصعود ملفت للنظر للدعاة المصابرين .

لقد قام الرئيس الجزائري الأمين زروال بخطوته هذه بعد وصول الأوضاع في الجزائر إلى حافة الهاوية في ظل رفض الجنرالات المتشددين الحل السلمي وإصرارهم على تصفية المقاومة الشعبية حتى آخر نفس جزائرية حرة لقد حاول الأمين زروال في بداية وصوله إلى السلطة أن يبدأ حواراً حقيقياً يعيد الاستقرار إلى البلاد ، وجاءت خطواته المتمثلة باتفاق مبدئي مع شيوخ الإنقاذ حينها على التحضير لجولة حوار يبدأ بإطلاق الشيخين بوخمخم وجدي ثم الإفراج عن بقية قيادة الجبهة والدخول في حوار ينهي المأزق الجزائري الراهن ، لكن أنّى لفرنسا وقطيعها المربوط بها بحبل سري أن يرضوا بحل كهذا يعيد الأوضاع إلى أطرها الطبيعية ويعيد المياه إلى مجاريها ؟ !

لقد شن علي كافي (هل لازلتم تذكرون هذا النكرة ؟) وكان رئيساً للوزراء ويمثل التيس المستعار الذي كان يختبئ وراءه جنرالات فرنسا حملة ضد رئيسه ، وحذر من الحوار ، وطالب بدلاً من ذلك بحماية العلمانية الجزائرية وحرية الإنفصاليين البربر وحفنة الشيوعيين المحنطين ، لأن هذا الخليط الممزوج بالتوابل الفرنسية يمثل النخبة التي لا ترى بأساً من وصول الحرب الأهلية في الجزائر إلى تدمير الحاضر والمستقبل .. !

وأخذ العسكر المتشددون المبادرة وراحوا يضيقون الخناق على دعاة الحوار داخل أجهزة الدولة بصورة تشبه أعراض مرضى التوحد ، وإن المصابين بهذا المرض الخطير لا يعانون من انفصام الشخصية ، حيث تظهر لهم شخصية سوية وأخرى مجنونة ، لأن هؤلاء لا يعرفون سوى شخصية واحدة هي شخصية تعيش في عالم منفصل عن عالم بني البشر و (الأوادم) ، وتنسحب من خضم الحياة اليومية ، وتقطع كل اتصال لها به ، وتوجد عالماً خاصاً بها لا يصيخ السمع لأحد ، ولا يرد النداء حتى لأبسط النداءات وأكثرها إخلاصاً وقرباً .

وجنرالات التصعيد الأمني كانوا يعيشون عالم التوحد الأمني الذي يمنى المصابون به بقرب تطهير الجزائر من آخر مظهر إسلامي ، بل حتى عروبي

ليصدح الفرانكفونيون بأناشيدهم الفرنسية المخلوطة باللغة الأماغيزية !
لكن هل نجح منطق الجنرالات المختبئين وراء قناع السلاحف والذين أسالوا دماء الشعب الجزائري أنهاراً ؟
وكيل وزير الخارجية الأمريكية زار باريس في بداية هذا الصيف واجتمع بمندوبي الصحافة والمحللين للوضع الجزائري ، وأشار إلى أن الجيش الجزائري أصبح من الضعف بمكان بحيث أن المستقبل يحمل بالنسبة لإدارته حلين لا ثالث لهما : إما الوصول إلى وضع كالوضع في يوغسلافيا حيث ستوجد ثلاث دول متناحرة على الأقل ، أو أن يصل الإسلاميون إلى السلطة بقوة السلاح ، وقد كان هذا التصريح بمثابة استكمال للصراع العلني بين واشنطن وباريس ، واشنطن التي ترى أن تتعامل مع الواقع وتنظر إلى موطئ قدم جديد في الجزائر التي عافت التدخل الفرنسي المستفز ، وفرنسا المثقلة بالحقد الصليبي وثارات معركة الجزائر ، وانحسار رموزها ورجالاتها وثقافتها في ساحة الصراع الحر العلني الذي أكد الجزائريون أن خيارهم فيه هو الإسلام .
ولم تكن أمريكا وحدها تقف هذا الموقف ، بل إن إيطاليا وألمانيا وحتى الأسد الإستعماري (بريطانيا) رفضت الوصاية الفرنسية على تعاطيها ومعالجاتها للملف الجزائري ، وأكدت أن الحل هو عودة الجبهة الإسلامية للإنقاذ إلى الواجهة لأنها (رغم كل الحقد والمشاعر السلبية) وحدها القادرة على أن تعيد الاستقرار والأمن المطلوبين لهذه البقعة المضطربة .
لقد أخرجت مجلة الإكنومست ملفاً في بداية شهر أغسطس الماضي تتحدث فيه عن معركة يمكن تجنبها بين الإسلام والغرب ، وكان سبب إخراج هذا الملف إلى النور كما يقول المحرر توقع استلام الإسلاميين السلطة في الجزائر ، مما يعني أن على الغرب أن يعيد النظر في تعاطيه وتعامله مع هذه الحركة السنية التي أعادت الإسلام إلى الواجهة عقيدة وحيدة في عالم اليوم تعطي منهجية متكاملة للإنسان في حياته اليومية ، ومنافساً وحيداً للحضارة الغربية وإفرازاتها .
إن هذه الخطوة المتوقعة منذ زمن قد تكون الفرصة الأخيرة أمام الحكم الجزائري لإنقاذ البلاد من الأزمة الراهنة ، وإن استجابة قادة الإنقاذ وشروطهم العادلة التي حملتها رسالة الشيخين مدني وبلحاج تدلان على حرص الإسلاميين على إنقاذ الوضع والخروج بحل يكفل إنهاء الأزمة ، لكن ما لم يقترن هذا الإفراج المؤقت بتغيير في أسلوب وعقلية السلطة خلف القناع العسكري ، فإن جولات الحوار قد لا تكون سوى سراب وبخاصة ، إذا صدق توقع المسؤول الأمريكي أو نفذ المتشددون في السلطة بعض ماضيهم التسلطي تجاه قيادات الجبهة لتصفية رموزها ، وعندها يمكن أن نقول إن الحوار هو ستار لخراب الديار .. وإحلال الدمار الذي لازال ينهش التراب الجزائري .. ! !

المسلمون والعالم

وقفة مع :
المد الإسلامي في أفريقيا

محمد لانج صار

تعتبر إفريقيا إحدى مناطق الصراع العقائدي في القرن العشرين ، فقد شهدت هذه القارة خلال هذا القرن صراعاً عقائدياً مريراً لم تشهده في سابق تاريخها ، ويدور هذا الصراع بين الإسلام الذي يحرص على ترسيخ دعائمه في ربوع القارة ،

والنصرانية التي تسعى للتغلغل فيها على حساب الإسلام واليهودية التي يقل وجودها في القارة بالنسبة لغيرها ، ولكنها تعمل كادحة لفك العزلة التاريخية التي طال أمدها بينها وبين شعوب المنطقة ، إلى جانب مذاهب فكرية ونحل باطلة تبث سمومها الفتاكة بين كل ذي عقيدة ودين .

وتوجد عوامل عدة وراء هذا الصراع العقائدي الذي تشهده الساحة الإفريقية ، تتلخص فيما يلي :

1- الاتصالات المتبادلة بين شعوب القارة الإفريقية والشعوب الأخرى :

حيث تؤكد الدراسات السكانية أن هناك ارتفاعاً مطرداً في الهجرة السكانية من وإلى القارة الإفريقية ، ولا شك أن الاحتكاك بين الشعوب ينتج عنه نوع من الغزو الفكري والثقافي والعقائدي ، إذ لابد من التأثير أو التأثر أو كليهما معا ، فإذا كان الإسلام قد دخل إلى إفريقيا ، وانتشر فيها عن طريق الاحتكاك بين الأفارقة وغيرهم وبخاصة التجار العرب فكذلك النحل والعقائد والمذاهب الفكرية الأخرى الدخيلة التي لم يكن لها وجود في القارة إنما جاءت عن طريق الوافدين للقارة وعلى رأسهم المستعمرون الغربيون .

2- تنازع الدول الاستعمارية في مصالحها داخل القارة الإفريقية :

فالاستعمار الغربي لإفريقيا قد صاحبته محاربة شديدة للإسلام من جانب ، والترويج للنصرانية والعقائد والمذاهب الفكرية الباطلة من جانب آخر ومازال الغربيون يمارسون هذه السياسة ؛ لتصورهم بأن الإسلام قنبلة موجهة ضد الغرب ، واعتقادهم بأن في انتشار الإسلام في إفريقيا تهديداً لمصالحهم وأطماعهم الاستعمارية، ومن هنا ندرك الأسباب التي تدفع الغرب إلى مساعدة الكنيسة العالمية بشتى مذاهبها ، ودعم مؤسساتها التعليمية والاجتماعية والمالية في القارة الإفريقية ، حيث أصبحت الكنيسة بعد إفلاسها في الغرب مجرد سلاح غربي لمحاربة الإسلام .

3- إفلاس الكنيسة أمام الحضارة الغربية :

فبعد إفلاس الكنيسة في الغرب ، وفشلها في تكوين الإنسان الغربي تكويناً روحياً يتمشى مع حضارته المادية ، تنكر الإنسان الغربي للكنيسة وانصرف عنها باعتبارها عائقاً كبيراً في طريق التطور والتقدم الحضاري وبخاصة بعد فضائح رجال الكنيسة في القرون الوسطى ، وظهور استغلالهم للدين ، ومن هنا جرّت الكنيسة ذيل الهزيمة في أوروبا متجهة إلى إفريقيا حيث توجد ظروف وعوامل عدة كالفقر والأمية والوثنية يمكن أن تستغلها لنشر مبادئها والتغلغل فيها على حساب الإسلام ، ويؤكد ذلك الاهتمام البالغ الذي توليه الكنيسة للقارة الإفريقية في هذا القرن، والزيارات البابوية المتعددة إلى دول إفريقيا ، وما يسود الآن من فكرة أفرقة القساوسة لتولي المناصب في الكنيسة الكاثوليكية ، والاقتراح المقدم إلى الفاتيكان بأن يتولى أحد الأفارقة السود منصب البابوية في المستقبل .

4- تزايد الوعي الإسلامي لدى مسلمي القارة الإفريقية :

فبفضل الله وبما من به من الوعي الإسلامي المتزايد لدى مسلمي إفريقيا وانفتاحهم نحو الرؤية الشمولية للإسلام ، أصبح كثير منهم يقاومون أشكال التنصير التي لم يكن المسلم الإفريقي يفطن وينتبه لها ، وقد نشأت في مختلف أنحاء القارة الإفريقية حركات إسلامية تتزعم هذه المقاومة .

مظاهر الصحوة الإسلامية في إفريقيا :

هناك ، وفي وسط الصراع العقائدي المرير تشهد القارة الإفريقية صحوة إسلامية عارمة ، حيث يتزايد المد الإسلامي فيها باطراد رغم كل المخططات الصليبية الرامية إلى تنصيرها والحيلولة دون انتشار الإسلام فيها ، وهذه الصحوة تتخذ مظاهر عدة منها :

(أ) انتشار المدارس الإسلامية في ربوع القارة :

فما من شك في أن المعاهد الإسلامية والعربية التي يزداد عددها يوماً بعد يوم في مختلف الدول الإفريقية تساهم مساهمة فعالة في نشر الإسلام وتوعية المسلمين ، وهي تزود الصحوة الإسلامية في القارة الإفريقية بالثقافة اللازمة لنضجها واستمراريتها ، ولاسيما بعد أن انخرط في السلك التعليمي لهذه المدارس أصحاب الاتجاه الإسلامي من الشباب المسلم المتخرج من الجامعات الإسلامية .

(ب) ظاهرة التزايد المستمر في عدد الكتاتيب ومراكز تحفيظ القرآن الكريم :

ويلاحظ أن هناك عودة إلى نظام الكتاتيب ومراكز وخلاوي تحفيظ القرآن الكريم في عديد من الدول الإفريقية ، فقد انتعشت الخلاوي القديمة التي كانت قد توقفت لفترة عن أداء رسالتها ، وبخاصة إبان الحقبة الاستعمارية التي حاربت وبشدة كل ما له صلة بالإسلام ، كما نشأت كتاتيب كثيرة أخرى في المدن والقرى والأرياف ، وقد زاد الأفارقة من عنايتهم بمراكز تحفيظ القرآن الكريم متهمين الثقافة الغربية ومؤسساتها التعليمية بالعمل على تدمير القيم والأخلاق في المجتمعات الإسلامية وبخاصة بين الشباب .

(جـ) كثرة الجمعيات الإسلامية :

فقد نشأت جمعيات إسلامية في مختلف الدول الإفريقية ، وهذه الجمعيات مما لا شك فيه هي دعائم ترتكز عليها الصحوة الإسلامية ، وبخاصة أن معظم هذه الجمعيات تضم في صفوفها عدداً كبيراً من الكوادر والمثقفين بالثقافة الإسلامية الناضجة ممن تخرجوا من الجامعات الإسلامية والعربية ، ولذا نستغرب ما نسمعه من الهجوم الشرس على تعدد الجمعيات الإسلامية في إفريقيا ، واعتبار هذا التعدد ظاهرة سلبية وسيئة للعمل الإسلامي ، إذ لا ينبغي النظر إلى هذا التعدد من الناحية السلبية فقط ؛ لأن الإسلام ينتفع من هذه الجمعيات المتعددة أكثر مما يتضرر بها ، وإن كننا نؤمن بضرورة التنسيق فيما بينها في حقل العمل الإسلامي ؛ لأن ذلك هو السبيل لنجاحها في أداء المهمات المطلوبة منها .

(د) قيام اتحادات للطلبة المسلمين في مختلف الجامعات الإفريقية :

فقد تشكلت عدة اتحادات للطلبة المسلمين في مختلف الجامعات الإفريقية وتعتبر هذه الاتحادات توجهات إسلامية داخل هذه الجامعات العلمانية ؛ ولذا ينبغي الاهتمام بها ، ودعمها مادياً ومعنوياً ؛ كي تعطي ثمارها المرجوة في تحويل هذه الجامعات من التبعية للغرب إلى مواقع استراتيجية للإسلام مستقبلاً بإذن الله .

وتجدر الإشارة إلى أن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض قد بدأت في تنظيم دورة شرعية للتوعية في جامعة دكار بالتنسيق مع اتحاد الطلبة المسلمين في هذه الجامعة .

(هـ) التغيير التدريجي في النمط الصوفي القديم :

يلاحظ أن هناك تراجعاً تدريجياً للزعامات الصوفية في إفريقيا ذات النمط الصوفي الذي كان يتسم بالسلبية والجمود الفكري ، وبدأ الاتجاه نحو المنهج الإسلامي الصحيح بعدما تخرج عدد كبير من الشباب المسلم من الجامعات الإسلامية.

(و) ظهور تدريجي للزي الإسلامي :

فقد بدأ الزي الإسلامي يظهر تدريجياً في أوساط النساء المسلمات في إفريقيا ، وكان ذلك ثمرة طيبة من ثمار الصحوة الإسلامية المتزايدة في القارة ولم يعد من المستغرب أو النادر أن ترى امرأة مسلمة متحجبة ، وأنت تمشي في شوارع بعض

الدول الإفريقية كالسنغال أو كينيا أو مالي .
تلك تأملاتنا في المد الإسلامي المتزايد في إفريقيا ، الذي يتطلب منا بذل مزيد من الجهد والاهتمام بالعمل الإسلامي وتطويره للوصول إلى أهدافنا السامية ، وما ذلك على الله بعزيز .

حوار

د . صلاح الصاوي في حديث شامل

أجرى الحوار / السيد أبو داود

د . صلاح الصاوي الأستاذ بكلية الشريعة جامعة الأزهر .. من الدعاة المتميزين .. عمل نائباً للأمين العام لهيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي .. ثم مديراً للمركز العالمي لأبحاث الإعجاز العلمي في باكستان ثم أستاذاً زائراً في معهد العلوم الإسلامية والعربية في واشنطن .. ويعمل الآن مديراً لمركز بحوث تطبيق الشريعة الإسلامية برابطة العالم الإسلامي .. وله صلات عديدة بالمنظمات الإسلامية في أوروبا وأمريكا ومختلف أنحاء العالم الإسلامي تعددت كتبه وتنوعت إلا أن القاسم المشترك بينها هو هموم ومشكلات الصحوة الإسلامية وكيفية ترشيدها وبصفة خاصة على المستوى العقدي والفكري ، ولذا كان الحوار مع د . صلاح الصاوي مهماً وذا مغزى بحكم هذه الخبرة الواسعة في العمل الإسلامي .
- البيان -

* الأمة الإسلامية في حالة انكسار وضعف في هذه المرحلة .. وباعتبارك عشت في أوروبا وأمريكا ، وعايشت مشكلات المسلمين هناك واقتربت من مقولات الغرب .. ما هو الأسلوب الأمثل في رأيك للتعامل مع الغرب ؟

إذا كان المقصود بالحوار بسط قضية الإسلام فهذا مما تعبّد الله به عباده في جميع الأطوار والأحوال سواء أكانت الأمة في حالة انتصار أم في حالة انكسار ، فنحن أمة دعوة ورسالة نبلغها لغيرنا من الناس في جميع أطوارنا وفي جميع أحوالنا فلا خلاف على بسط قضايانا والدفاع عنها وحشد الأدلة لإثباتها في أي طور وعلى أي حال كنا ، وهذا القدر من القضية يحكمه أيضاً ألا ينكسر حاجز الولاء والبراء الذي أقامته الشريعة ، وجعلته أساساً في التعامل بين المسلم وغير المسلم ، وقضية الولاء والبراء لها قواعد محكمة في دين الإسلام وقد وردت فيها عشرات الآيات والأحاديث ، وفي أزمنة الانكسار يرق هذا الحاجز ويضعف ، ويبرز فقه التبرير الذي تنشئه عوامل الوهن التي تمر بها الأمة من ناحية ، ومفاهيم الاختراق الوافدةمن ناحية أخرى ، ومما يحسن التنبيه عليه هنا أن يقال : إن الولاء والبراء يحدده الكتاب والسنة لا غير ، فمن كان مؤمناً بالله ورسوله بذلت له حقوق الموالاة كاملة ، ومن كان كافراً بالله ورسوله حجبت عنه حقوق الموالاة كاملة ، ومن كان فيه إيمان وفيه فجور أو فيه طاعة وفيه معصية فإنه يأخذ من الموالاة بحسب إيمانه وطاعته ، ويأخذ من المعاداة بحسب ما فيه من معصية ، وهذا المعنى ينبغي ألا ينهزم ولا ينكسر في أنفسنا مهما توالت مطارق المحن والشدائد علينا .

لكن من ناحية السلوك العملي فنحن نفرق بين الموالاة والمداراة فالتسامح موجود للمسلمين ولغيرهم ، والمداراة يلجأ إليها الناس حينما يكونون في حالة ضعف وانكسار ، وطبيعي حينما أكون ضعيفاً ومنكسراً أن لا تطلب مني أن أتصرف باعتباري قوياً ومتمكناً .

وعندما تكون الأمور على هذا النحو فمنطق التسامح والتآلف وارد ومنطق الدعوة والاستماتة في الدفاع عن قضية الإسلام وبسط حججه وَرَدّ بعض شبهات وأباطيل خصومه واردٌ ومهم .

وعموماً فإن علاقتنا بالغرب وبغير المسلمين عموماً علاقة دعوة وعلاقة بلاغ، ونحن أمة دعوة ورسالة و أصحاب الدين الذي ارتضاه الله لعباده ديناً وقد نُسِخَتْ به الأديان كلها ، ونحن نمسك بأيدينا المصحف الذي حماه الله من التحريف والتبديل على حين حرفت الكتب السماوية كلها فلم يبق على الأرض وحي معصوم إلا القرآن والسنة ، ولم يبق دين يقبله الله ويرتضيه لعباده إلا الإسلام ، فبقدر جسامة هذا الموقع وهذه المسؤولية ينبغي أن تكون أمانة الدعوة وأمانة البلاغ مع المحافظة على عقيدة الولاء والبراء حتى لا تنكسر هذه الأمة على مافيها من انكسار ، وحتى لا تذوب هويتها في معترك الأفكار والسياسات .

* تختلف فصائل الصحوة الإسلامية في فهم النصوص وفي تنزيل هذه النصوص على الواقع ، ومن هنا تنشأ المشكلات ، كيف يمكن في رأيك الخروج من هذا المأزق ؟

يحدث خلط في التعامل مع النصوص الشرعية بين مناط الاستخلاف ومناط الاستضعاف ، فهناك طائفة من النصوص يرتبط تطبيقها بواقع الاستخلاف والقوة وطائفة أخرى يرتبط تطبيقها بواقع الاستضعاف والغربة . ومثال ذلك الآيات الواردة في باب الصفح والمغفرة والمداراة وتألف المخالف .. فما ورد في هذا المقام من آيات أو أحاديث فإنما ترتبط بواقع الاستضعاف والغربة ، وما ورد من نصوص في باب الهجر والزجر والغلظة ، فإنما يرتبط بواقع التمكين والقوة ، فإذا حدث خلط فأنزلت النصوص التي ترتبط بواقع الاستضعاف على واقع القوة أو العكس فيحدث الخلط ويحدث التشويش .

فالنصوص الواردة في باب الصفح والمغفرة وتألف المخالف مثل قوله تعالى : ﴿ قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ﴾ [الجاثية : 14] وقوله تعالى : ﴿ وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون ﴾ [يونس : 121] وقوله تعالى : ﴿ واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً ﴾ [المزمل : 10] هذه النصوص ترتبط بواقع يعيش فيه المسلمون في غربة ، لا قوة لهم ولا شوكة ولا منعة ، فإذا تحول المسلمون إلى واقع القوة والاستخلاف والتحكم يخاطبون بطائفة أخرى من النصوص كقول الله تعالى : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ [التحريم : 9] ، وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ﴾ [التوبة : 73] ومن أسباب الخلط والشطط في وقتنا المعاصر قضية الغفلة عن هذا المعنى .. ومتى حدث هذا الفصل الذي نرجوه ، ينتظم الأمر ، ويستقيم المسار بإذن الله .

* في ظل انهيار الحضارةالمادية الغربية .. هل ترى أن مستقبل الإسلام سيكون نابعاً من بلاد المسلمين أنفسهم ، أم من خارج بلاد الإسلام ؟

هذه المنطقة هي منطقة الريادة .. منطقة الإسلام .. المنطقة التي بعث فيها الأنبياء وتنزلت فيها كتب السماء .. وأهلها هم أبناء الأجيال الأولى الذين انتصر بهم الإسلام ونحن نتمنى أن يشرح الله للإسلام صدورغيرهم ، وأن يكونوا مدداً للإسلام والمسلمين .

* الإعلام الغربي يتحدث دائماً عن الإنسان الغربي على أنه متحضر لا يفرق بين الناس على أساس ديني .. على عكس الإنسان العربي والمسلم .. فعلى اعتبارأنكم عشتم وسط الغربيين .. هل هذه المقولة صحيحة ؟ بخاصة فيما نراه في البوسنة وما نراه من تفرقة عنصرية في بعض ديار الغرب ؟

الفرق بيننا وبينهم هو الفرق بين الوضوح وبين النفاق .. فقوانينهم ونظمهم تنص على ما تقول .. وواقعهم في كثير من الأحوال يخالف ذلك مخالفة جذرية ، وحسبنا هذا التطفيف الظالم الذي يقوده ما يسمى بالنظام العالمي الجديد ، والمكاييل المزدوجة التي يتعامل بها مع العالم الإسلامي .

ولكننا لا نعرف هذا التلون وهذا الخداع .. فظاهرنا كباطننا ، ما نعتقده ديانة نفعله على الملأ ونقيم عليه الحجج والبراهين ، وكل من يعيشون على أرض الإسلام يتمتعون بحقوق كاملة لا يتمتع بعشرها المسلمون المقيمون في الغرب الآن.

فلا يملك المسلم المقيم في أمريكا مثلاً أن يتزوج من امرأة ثانية إلا إذا قدم وثيقة طلاق أمام القضاء الأمريكي ، وإلا يعتبر قد ارتكب جريمة قانونية ضخمة جداً ، يحاكم بها ، ويطرد من البلاد .

وبعض الناس قد تحتم عليه ظروفه الزواج وهو في ذلك المجتمع الجديد ، ولكن لا يملك ذلك ، فهل صادر المسلمون حق غير المسلمين في أن يحتكموا في مسائل الأسرة إلى قوانينهم عبر 14 قرناً ؟ . ولكن في القرن العشرين .. يحجب هذا الحق عن المسلمين .

ماذا يعني أن يقوم المجتمع الفرنسي ولا يقعد من أجل فتاتين محجبتين فأي خطورة على الحضارة الغربية والمجتمع الفرنسي من ذلك ؟

* هل لك أن تحدثنا عن مدى ارتباط الصليبية العالمية بالنظام العالمي الجديد ؟

هذا موضوع متشابك .. لكني أقول : إن هناك صراعاً طويلاً عمره في الحقيقة خمسة آلاف سنة بين وعدين وعد حق من الله تعالى ووعد مفترى .. كذب به أصحابه على الله .

اليهود والنصارى اتفقوا على الأسطورة التي تقول : إن قادماً سيأتي وسينزل في أرض الميعاد ، وإنه يجب أن يهيء المسرح لاستقباله ، وأن يتعاون اليهود والنصارى معاً في ذلك ، هذا القادم عند النصارى هو المسيح وعند اليهود هو الدجال ، وهناك تناقض جذري بين هذين القادمين .. فاليهود يرون في المسيح عيسى ابن مريم أنه ابن زنا كذاب دعيّ ! ، والنصاري يعتقدون أنه إلههم ومعبودهم، وأن اليهود هم الذين قتلوه ، ورغم هذا التناقض الجذري الضخم جداً الذي يفصل بينهما إلا أنهم استطاعوا أن يتفقوا حول هذه الأسطورة وقالوا نحن نتفق على أن قادماً سيأتي ، وبما أنه سينزل في أرض الميعاد ، فيجب أن يكون شعبه قوياً لكي يتمكن من استقبال هذا القادم .. فالصليبية العالمية تقول نحن نصلي للرب ، ونرسل السلاح لإسرائيل لنهيء المسرح لاستقبال هذا القادم الجديد الذي سيقود العالم قيادة جديدة .

فتقف الآن اليهودية العالمية والصليبية العالمية في معسكر لاستقبال قيادة جديدة للبشرية بزعمهم .. وأن هذه هي التي ستغير وجه الوجود كله . والمستهدف في الناحية المقابلة هو الإسلام وبخاصة بعد سقوط الاتحاد السوفيتي فمحاربة الإسلام أصبح مشروعهم القومي الذي يجمعون عليه شعوبهم .

إن ما نراه اليوم من مرحلة للسلام ، بدأ منذ خمسة آلاف سنة ، منذ وعد الله لإبراهيم وسينتهي عندما يلتقي المسيحان : مسيح الهدى عيسى بن مريم ومسيح الضلالة الدجال ، فيدرك مسيح الهدى مسيح الضلالة في فلسطين فيقتله ، ويومها يسدل الستار عن آخر فصل في هذا الصراع ، والذي أخبرنا بذلك هو رسول الله الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم- ، وأخبرنا أن المسيح سيصلي خلف المهدي فقال : (وإمامهم منهم تكرمة الله لهذه الأمة) إشارة إلى أن المسيح لن يأتي بشريعة جديدة وإنما سيحكم بشريعة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- ثم يبدأ مسلسل آخر الزمان وهو كالعقد إذا انفرطت منه حبة تتداعى سائر حباته وتتساقط .

فالقضية هكذا لها أبعاد وجذور دينية قابعة في أعماق مخططي السياسة وصناع القرار في الغرب ، وهو بعد ديني عند اليهود والنصارى نرجو ألا يغفله المسلمون .

* ما هو دور المنظمات الإسلامية في الغرب لمواجهة هذه المخططات .. وما الذي يعوقها لتؤدي دورها كما يفعل اللوبي اليهودي ؟

أعتقد أن المسلمين يستطيعون أن يؤدوا دوراً كبيراً في هذه المجتمعات أن يؤثروا بعض التأثير في السياسة الأمريكية إذا شاءوا ، وأن يرجحوا مرشحاً على آخر ، وأن يدعموا بعض القضايا الإسلامية ، ويمثلوا ضغطاً على صناع القرار هناك ، هذا ليس بمستحيل لكن العمل الإسلامي هناك يعاني من التشرذم أيضاً ، لأن جذوره مهاجرة من الشرق فنقلت معها ما نعانيه في الشرق من تفرق وتشرذم ، فإذا وفقوا في مثل هذه البلاد إلى من يرشد خطاهم ومسارهم ويجمع الله به كلمتهم ، فأتوقع أن يؤدوا دوراً كبيراً في هذه البلاد .

وهذا التفكير بدأ يطرح بعمق في الفترة الأخيرة فعقدت مؤتمرات إسلامية في أمريكا لترشيد العمل الإسلامي ، والجمع بين فصائله أو على الأقل إيجاد وحدة موقف في التعامل مع الأحداث التي تمر بالإسلام والمسلمين ، وبعض هذه المؤتمرات حققت نجاحاً ملحوظاً ، وبعضها انتهى إلى صياغات وبرامج محددة يمكن أن تستمر وأن توظف إذا وجدت من يستكمل البناء ويكمل المسيرة فالساحة واعدة بكثير من الخير ، فالمسلمون يستطيعون أن يؤدوا دوراً فاعلاً إذا استغلت وسائل الإعلام والاتصال في النافع المفيد ، ووظفت لصالح الإسلام .

* كيف يمكن القضاء على الخلاف بين فصائل العمل الإسلامي ؟

لقد تأملت في واقع العمل الإسلامي المعاصر فوجدت أنه يعاني من مشكلتين كبيرتين .. من تشرذم علمي يوشك أن يمثل تفرقاً في الدين .. ومن تشرذم تنظيمي يوشك أن يمثل تفرقاً في الراية .. فأخذت أبحث عن الأسباب .. ما الذي أدى إلى التشرذم العلمي ؟ هناك اجتهادات علمية متفاوتة مختلفة أدت إلى أن تموج الساحة بالمفاهيم المتصارعة .. أسباب ذلك كثيرة منها .. الخلط بين ا لثابت والمتغير أو الخلط بين المحكم والمتشابه ، لأن سر الخلل في هذه الناحية يرجع إلى أحد أمرين : إما أن نغلو في مسألة من مسائل المتشابه فنرفعها إلى مصاف المحكمات والقطعيات فنوالي ونعادي عليها .. وإما أن نوهن ونفرط في مسألة من المحكم فنهمش قيمتها ، ونهمش دورها ونهبط بها إلى مستوى المسائل المتشابهه والبسيطة ، هذايقتضي منا أن نعيد ترتيب الأوراق داخل العقل المسلم ، بحيث نفصل بدقة بين المحكمات التي يجب أن تجتمع عليهاكلمة المسلمين كافة وبين المتشابهات التي يجب أن يتغافر فيها الناس ولا يفجروا بسببها عداوات وخصومات .

ويجب أن تقدم ورقة عمل تجمع فيها نقاط التنازع بين فصائل العمل الإسلامي .. لنفصل فيها كما قدمنا سابقاً .. ولي شخصياً دراسة مطبوعة في ذلك بعنوان (نحو مسيرة راشدة للعمل الإسلامي) .

* الشباب الإسلامي حائر الآن : فطائفة تغرق في التراث ولا ترى غيره وطائفة تقطع الصلة بالتراث إلى حد كبير .. كيف السبيل للخروج من هذا المأزق؟

لا بديل عن سلفية المنهج وعصرية المواجهة ، بمعنى إننا يجب أن نرجع بأصول الفهم إلى الكتاب والسنة وما أجمع عليه الفقهاء ، وأن نستخدم هذه الأصول في دراسة ومعالجة مشكلاتنا المعاصرة ، فلا نهاجر إلى الماضي بالكلية فننفصل عن الحاضر بالكلية فهذا نوع من الخلل ، ومعناه أنني سأعيش في اهتمامات تراثية تاريخية بحتة ، فالسلف واجهوا مشكلات بعينها تصدوا لها بالقرآن والسنة وبكل ما آتاهم الله ، أما مجتمعاتنا المعاصرة فإنها تفرز قضاياجديدة فلا ينبغي أن أهاجر إلى

الماضي ، وأنفصل عن مشكلاتي المعاصرة ولا ينبغي بنفس القدر أن تحجبني هذه المشكلات المعاصرة عن التواصل مع السلف وعن استخدام أصول الفهم وقواعد المنهج السلفي التي توارثتها الأمة جيلاً بعد جيل في دراسة وتحليل وعلاج هذه المشكلات ..

وهناك معيار يمكن أن يمثل صمام أمن في هذه القضية .. فإذا فصلنا أبناء هذا الجيل عن تراثهم وعن كتب سلفهم فإننا نغامر بالفكر الإسلامي ونغرر به تغريراً كبيراً ينذر بمستقبل شديد الظلام ، فسلفنا الصالح كما نقلوا لنا نصوص الكتاب والسنة نقلوا لنا الفهم الصحيح والمعتبر لمحكمات الكتاب والسنة ، وكما مثلوا مرجعية في نقل النصوص ، مثلوا مرجعية في فهم المحكمات في هذه النصوص ولهذا يقول الله تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم ﴾ [النساء : 115] كان يكفي أن يقول : ويتبع غير سبيل الله ، وقال الرسول -صلى الله عليه وسلم- عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي [1] وكان يكفي أن يقول عليكم بسنتي فقط .. ففهم سلفنا الصالح والقرون الثلاثة الأولى يمثل صمام أمن في فهم محكمات الكتاب والسنة .

ولقد قرأت لأحد المتساهلين من أهل الفكر المعاصر من يقول : إن مقصود الشريعة من قطع يد السارق هوتحقيق الزجر الخاص للسارق ثم الزجر العام أمام الناس حتى لا يأكلوا بالسرقة ، فلو أتينا بعقوبة أخرى غير القطع ولتكن الأشغال الشاقة فنحن نكون بذلك قد حققنا مقصود الشريعة ، ولم نخالف الشرع ، ولم نحكم بغير ما أنزل الله ، فهذا نوع من الضلال والبهتان الذي أدى إليه التفلت من مرجعية السلف ، فالأمة أجمعت جيلاً بعد جيل على هذه العقوبة وعلى أن الخروج عنها ضلال والحكم بغيرها بهتان وكفر وشرك وظلم لأنه حكم بغير ما أنزل الله .

(1) أخرجه ابن ماجه ، المقدمة/باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ح/6 ، ج1ص15 ، وأبوداود ، كتاب السنة ، باب لزوم السنة ، ح/3851 .

في دائرة الضوء

مأزق النقد في الفكر الحداثي

د . أحمد بن محمد العيسى

لا أتصور أن هناك مفكراً يتجاهل أهـمية النقد كعنصر من عناصر نهوض الأمم ووسيلة لتقويم الواقع ومعالجة الأخطاء والغوص في أعماق حركة المجتمعات والأفراد ، وفي أعماق الأفكار التي تتراكم داخل تلك المجتمعات أو في عقول أفرادها التي تشكل رؤيتهم للقضايا الأساسية التي تكوّن واقعهم الاجتماعي بالمعنى الشامل لهذا الواقع ، ولكن الذي يثير الاختلاف والرفض أحياناً في مسألة النقد يتمثل في ثلاثة عناصر تشكل منظومة النقد وهي : من هو الناقد ؟ وما هو المنقود ؟ وما هو منهج النقد ؟

وأحسب أن التفكر في هذه العناصرالثلاثة مهم جداً عندما نحاول القراءة في مشاريع النقد الحداثية التي اجتاحت الفكر العربي منذ أن انهار مشروع النهضة العربي بعد هزيمة (يونيو) 1967 ، الذي قادته القومية العربيةوالفكر التغريبي منذ جلاء الاستعمار العسكري عن البلاد العربية ، وتزامن هذا الحدث التاريخي مع اكتساح ظاهرة الصحوة الإسلامية المجتمعات العربية مبشرة ببدء مشروع نهضوي آخر مغاير لذلك الذي قادته القومية العربية ، لقد أدت هذه الأحداث إضافة إلى عامل

ثقافي شديد الأهمية وهو استحكام حركة التغريب الفكري والثقافي والأدبي على عقول (المثقفين) العرب الذين غرقوا حتى آذانهم في المعارك الفكرية والنقدية والفلسفية التي شهدتها أوروبا وبخاصة فرنسا وألمانيا منذ مطلع هذا القرن .

المشاريع النهضوية ردود أفعال :

أدت هذه الظروف إلى نشأة مشاريع النقد الحداثية ، والتي يمكن أن نصفها بأنها ردود أفعال على واقع يبدو لتلك الفئات من المثقفين أنه يسير في اتجاه معاكس لحركة التقدم والنهضة ، ويمكن تبرير هذا الحكم من جانبين :

الأول : إن مشاريع النقد الحداثية أقحمت الفكر العربي الذي يفترض أنه يبحث عن حلول لمشكلات المجتمع العربي في قضايا فكرية وفلسفية لا علاقة لواقعه بها ، ولهذا وجدنا كثيراً من أفكار المدارس النقدية الأوربية من ماركسية ووجودية وبنيوية وتفكيكية وغيرها ، تجيء وتذهب في الدراسات العربية وعلى صفحات المجلات المتخصصة وغير المتخصصة دون أن تشغل عقل القارئالعربي وذلك لسبب بسيط وهو أنها لا تعبر عن همومه وأفكاره وقضاياه المصيرية ، وكثير من النقاد الحداثيين يعترفون بهذه الحقيقة ولكنهم يجدون تفسيراً لها يتناسب مع غرورهم الثقافي ، إذ يبررون ذلك بأن العقل العربي لا يزال يعيش وفق آليات ومنطلقات لا تستوعب هذه المصطلحات والمناهج النقدية التي يبثونها في دراساتهم النقدية ، إذ أن الكتابة العالية لا تتوجه إلى جمهور شعبي من القراء بل تستهدف النخبة المثقفة القادرة على قراءة هذا النهج من الكتابة من خلال تفهم هذه النخبة للإطار الفكري والأدبي ومرجعه الغربي لهذه الكتابة ، بنظر كتابها وقارئيها كلما اقتربت هذه الكتابة من الأنماط والنماذج الغربية ارتفعت قيمتها الأدبية وازدادت صحتها الفكرية [1] ! !

الثاني : إن الدراسات النقدية الحداثية على الرغم من أنها متخلفة بعشرات السنين عن المدارس النقدية في الغرب إلا أنها وبسبب بعدهاعن الواقع العربي كثيراً ما تأتي بنتائج غير موضوعية وبعيدة عن الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي العربي ، ويمكن أن نضرب لهذا مثالاً وهو أن غالبية النقاد يجمعون على أن الوضع العربي القائم حالياً هو وضع متخلف ساهمت في تكوينه أسباب عدة منها ما هو داخلي ومنها ما هو خارجي ، إلا أنه عند التشخيص الدقيق لأسباب هذا التخلف تتباين الآراء وتبتعد الأفكار كثيراً فمشاريع النقد الحداثية كما عند الجابري وغيره ترى أن الأزمة تكمن في تكوين العقل العربي ، الذي ينقسم إلى عقل (سلفي) يزداد مع الوقت توغلاً في الماضي بالشكل الذي يجعل التفكير فيه يفقد أسبابه الموضوعية ، وعقل متغرب يحاكي النموذج الأورربي الذي يتوغل في المستقبل بالشكل الذي يجعل الأمل في اللحاق به يتضاءل أمام اضطراد التقدم العلمي والتقني الهائل .. [2] .

ويتطرف آخرون في استنتاجاتهم النقدية بحسب مناهجهم النقدية إلى أبعد من ذلك كما هو عند أدونيس أو محمد أركون وعبد الله العروي وغيرهم .

شهوانية النقد الحداثي :

ولم تكن عملية النقد لما يسمى بالعقل (السلفي) ، تتم بدراسة واقع (العقل) الإسلامي في العصر الحديث ، ثم محاولة إيضاح مساراته المرضية ومقارنة ذلك بالأسس والمنطلقات العقائدية والفكرية الإسلامية ، ولو تم ذلك لكنا مسرورين جداً ، ولكن شهوانية النقد الحداثي اتجهت إلى تلك الأسس والأصول لتحاول الطعن في صلاحيتها لتكون أساس النهضة والتقدم ، وكأن الهدف الأساسي لعملية النقد الحداثية هذه هي اقتلاع الأصول من (العقل) العربي وإعادة تركيبه من جديد ، أو كما يقول محمد أركون : الحداثة التي ننظر إليها في هذا المجال هي التي تضع حداً لاستئثار

الأديان التقليدية بوصفها الينابيع والمقامات العليا لإنتاج الحقيقة الواحدة وإدارتها ، الحقيقة العالمية الثابتة العابرة للتاريخ بعد أن أوحى الله بها وأبانها وحماها .. [3] .

أسباب التخلف في زعمهم :

والغريب أن مدرسة النقد الحداثية توجه أسباب التخلف الحضاري إلى (العقل) الإسلامي السلفي ، بمفهومه المثالي وليس الواقعي ، بينما يؤكد الواقع والتاريخ أن (العقل) الإسلامي الذي يعتمد على مصادر التلقي في الإسلام (الكتاب والسنة) كان غائباً في أغلب فترات التاريخ العربي المعاصر ، وإن الحوادث التاريخية والاجتماعية الكبرى التي حدثت في تاريخ العرب المعاصر والتي شكلت عصر الانحطاط والتأخر للمسلمين بعامة والعرب بخاصة ، كانت تتم في ظل غياب شبه تام للعقل الإسلامي الفاعل ، وإذا حدث ووجد (العقل) الإسلامي فهو إما كان دوره هامشياً أو كان دوره مقموعاً من قبل القوى العلمانية والقومية التي أحكمت قبضتها على العالم العربي منذ رحيل الاستعمار ، إذن كيف تقوم المدارس النقدية الحداثية بتشريح مريض لعقل غير موجود بصورة شمولية وتنسب إليه الفشل الحضاري للعالم العربي ! !

يتضح من الأسطر السابقة أن الناقد هو من تتلمذ في أحضان المدارس النقدية الأوربية بكافة اتجاهاتها وتياراتها ، وبذلك شكلت تلك المدارس تكوينه الفكري و(العقلي) ، أما المنقود فهو التراث الفكري الإسلامي ، وتعدى ذلك إلى نصوص الوحي في القرآن الكريم والسنة النبوية ، لأن تلك النصوص في مفهوم الحداثيين هي من التراث الفكري الذي لا قدسية له ولا تميز ، وهذه جميعاً هي التي شكلت بنية (العقل) الإسلامي ، ونأتي الآن إلى الإشارة إلى منهج النقد الذي سلكه الحداثيون في مشاريعهم النقدية ، والذي نحسب أنه يمثل المأزق الذي وقع فيه أولئك القوم .

منهج النقد الحداثي :

إن القارئ للفكر النقدي الحداثي لا يحتاج إلى عناء كبير في اكتشاف الأدوات النقدية التي يستخدمها الحداثيون في نقد (العقل) العربي ، ومن ثم نقد أصوله المعرفية ومنطلقاته الفكرية ، لقد غرق النقاد الحداثيون كما أشرنا سابقاً في خضم الحركات النقدية والفلسفية الغربية التي تطغى على الساحة الفكرية في فرنسا وألمانيا بالذات ، لأنهما تمثلان أهم المدارس الفكرية في تاريخ أوروبا المعاصر ابتداء من فلسفة هيجل وكانت ومروراً بماركس وفرويد ونيتشه ثم انتهاء بالحركات النقدية التي ازدهرت بعد الحرب العالمية الثانية من أمثال الوجودية والبنيوية والتي قامت بهجوم نقدي حاد للفكر الغربي الذي أفرز النازية والفاشستية وغيرها من الحركات العنصرية ، لقد اهتم النقاد الحداثيون العرب فترة من الزمن بالأدوات النقدية التي يقدمها الفكر الماركسي لتشريح حركة التاريخ والمجتمع ، مثل مفهوم صراع الطبقات ، وتحالف القوى البورجوازية والرجعية الدينية لممارسة السلطة وتبرير سحق الطبقات المحرومة في المجتمعات ، وانتقل بعضهم إلى مدرسة النقد البنيوية والتي يمثلها ميشل فوكو وجاك دريدا وجيل ديلوز ، فاهتموا بتفكيك النص وإعادة قراءته بعيداً عن تأثير الواقع الاجتماعي والفكري الذي أنتجه .

وها هو قطيع منهم يتجه إلى مدرسة ما بعد الحداثة حيث التهكم والتوجه الفردي والعودة إلى الذات : هذه هي ردود الفعل التي لا مهرب منها لفكر يبحث عن حقيقة تتميز بتهرب دائم ، فكر لا يجد أمامه منفذاً إلا في الفكاهة والهزل ورفض روح الجد وفي تجذير الوعي الذاتي .. [4] ، واهتم كثير من الدارسين الحداثيين بالمناهج الغربية في العلوم الإنسانية (علم الاجتماع والتاريخ واللغات وعلم النفس والتربية .. إلخ) فاقتبسوا المناهج النقدية التي أفرزتها الصراعات الفكرية

التي خاضتها المدارس الفلسفية في الغرب ، وبدأوا يطبقونها على التاريخ والتراث الإسلامي ، أما قراءتهم للتراث الإسلامي منذ عصر صدر الإسلام وحتى الآن فقد كانت تتم بصورة انتقائية بحيث يتم في الغالب اقتباس النصوص والحوادث التاريخية والفكرية التي تخدم حكماً نقدياً مسبقاً ، وهي قبل ذلك وبعده تتنفس من خلال الرؤية الاستشراقية للثقافة الإسلامية ، والمتأمل مثلاً في مشروع علي أحمد سعيد (أدونيس) في كتابه الثابت والمتحول ، يرى بشكل واضح المحيط الاستشراقي الذي قرأ به أدونيس التراث الإسلامي .

وبهذا أدى استخدام المناهج النقدية الحداثية في البيئة الفكرية الإسلامية إلى محاولة قسرية للمزج بين بيئتين وثقافتين مختلفتين حيث يتم تفسير حركة المجتمع والفكر تفسيراً قريباً لما يحدث في المجتمعات الغربية ، بل والأخطر من ذلك أصبحت المناهج النقدية الغربية تمثل سلطة مرجعية للناقد ، يرجع إليها كلما حاول إصدار حكم نقدي على أي ظاهرة يقوم بدراستها في الفكر الإسلامي ، وعندما يستخدم النقاد الحداثيون المناهج النقدية التي تطورت في سياق الفكر الغربي ، فبعضهم يفسرون مثلاً حركة الفتوحات الإسلامية تفسيراً مادياً جدلياً ، حيث كانت تهدف إلى التوسع والهيمنة ، وأن حروب الردة والفتنة الكبرى التي حدثت في أواخر عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه إنما هي حروب اقتصادية ، وأن تاريخ الإسلام منذ قيام الإسلام إلى اليوم هو تاريخ صراع بين الطبقات ، تارة يكتسي هذا الصراع صبغة اقتصادية اجتماعية وتارة يظهر بمظهر الصراع الايديولوجي والنزاع بين الفرق .. [5] . أما علاقة الإسلام بالنصرانية فقد تصارعا وتبادلا النبذ منذ القرن السابع مستعملين التصور نفسه للحقيقة الموصى بها ، لتشريع المساعي التوسعية طلباً للهيمنة في مدى المتوسط خصوصاً .. [6] . ولعل القارئ لا يغفل عن استخدام هذه الأحكام النقدية البعيدة عن محيط المسلمين العقدي والفكري ، فقد أغفل أولئك النقاد مثلاً الدوافع الإيمانية التي دفعت حركة الفتوحات الإسلامية ، وهي الدوافع التي يحث عليها القرآن الكريم والسنة المطهرة من نشر الدعوةالإسلامية ، وإعلاء كلمة الله في الأرض .

ومشاريع النقد الحداثية التي وقعت في هذا المأزق لم تجد حرجاً من انتقاد المشروع التغريبي الكامل ، ذلك أن الحداثيين اكتشفوا أن نقل الواقع العربي ليماثل الواقع الأوربي بكل قيمه وأفكاره وثقافاته هو بكل المقاييس ضرب من المستحيل ، وأن مشروع المتغربين الأوائل على مستوى الفكر والسياسة والأدب قد انهار تماماً بعد هزيمة 67 ، حيث اصطدم هذا المشروع بازدواجية اسمها الغرب حيث يُرى الغرب بأنه يمثل العدوان والغزو الاستعماري والاحتكار والامبريالية وفي نفس الوقت فهو يمثل الحداثة والتقدم والنموذج في مشاريع التنمية .

مأزقهم في مشاريعهم :

ولكن هل تنبه أولئك النقاد إلى المأزق الذي وقعوا فيه باستخدامهم المناهج النقدية الغربية في نقد الواقع العربي ؟

الحقيقة أنهم يعرفون المأزق الذي وصلت إليه مشاريعهم ، يقول هشام شرابي شئنا أم أبينا يستمد هذا الفكر العلماني النّقاد مفاهيمه ومصطلحاته وأبعاده من التجربة الأوروبية للحداثة بمفهومها الشامل .. [7] ولكن كيف يمكن تبرير هذا الاستخدام للمصطلحات والمفاهيم الأوروبية ، يجيب شرابي : يهدف الناقدون العلمانيون عند طرحهم مقولة الحداثة إلى إقامة إطار ومفاهيم تختلف إلى حد بعيد عن الأطر والمفاهيم الغربية التي يستمدون منها مقاييسهم العلمانية وعدداً من مفاهيمهم النقدية ! وذلك لأن المنطلق الفكري لدى معظمهم هو الواقع المعاش عينه لا الفكر الأكاديمي المجرد ! [8] .

ولكن هل هذا ممكن ؟ هل يمكن استخدام مقاييس علمانية ومفاهيم نقدية من بيئة فكرية معينة ثم تقام أطر ومفاهيم مختلفة عن تلك الأطر والمفاهيم . إن هذا لا يكون إلا بالقيام بحركة نقدية عميقة لتلك الأطر والمفاهيم المقتبس منها أولاً ، ثم تقارن تلك الأطر بالأصول الفكرية والعقدية التي يقوم عليها المجتمع المنقود . وهذا مالم يفعله الحداثيون ، وإنما يتحدثون عن تجاوز لمفاهيم ومصطلحات هم غارقون في لججها وتشكل محور فكرهم وإنتاجهم النقدي ويقول الجابري في هذا السياق إننا نوظف مفاهيم تنتمي إلى فلسفات أومنهجيات أو قراءات مختلفة متباينة ، مفاهيم يمكن الرجوع ببعضها إلى كانت أو فرويد أو بلاشير أو التوسير أو فوكو ، بالإضافة إلى عدد من المقولات الماركسية التي أصبح الفكر المعاصر لا يتنفس بدونها . [9]، ولكن كيف يبرر الجابري هذه المراجع وأحكامها النقدية ، يقول : ولا نشك أن القارئ المتمرس بهذه الفلسفات والمنهجيات سيلاحظ ، وله الحق في ذلك ، أننا لا نتقيد في توظيفنا لتلك المفاهيم بنفس الحدود والقيود التي تؤطرها في إطارها المرجعي الأصلي ، بل كثيراً ما نتعامل معها بحرية واسعة . إننا واعُون بهذا تمام الوعي ونمارس هذه الحرية بكل مسؤولية . ذلك لأننا لا نعتبر هذه المفاهيم قوالب نهائية ، بل هي فقط أدوات للعمل يجب استعمالها في كل موضوع بالكيفية التي تجعلها منتجة ، والأوجب التخلي عنها ، إذ ما قيمة أي مفهوم إذا كان سيذكر للزينة فقط ؟ [10] .

فوضوية النقد الحداثي :

أما نحن فنشك في قدرة الناقد الحداثي في عدم التقيد بالحدود والقيود التي تؤطر تلك المنهجيات في إطارها الأصلي ، لأن ذلك ببساطة يعني هدم ذلك المنهج النقدي أو تجاوزه لغيره ، فما لم يلتزم الناقد بحدود ذلك المنهج فإن ذلك يعني إما اقتباس انتقائي من أدوات ذلك المنهج بحيث يصبح الناقد يتعامل مع (لا منهج) ، أو أن يتجاوز الناقد حدود ذلك المنهج ويقدم منهجاً جديداً ، وهذا لا يملكه النقاد الحداثيون لأنهم لا يزالون يعيشون في غربة المكان كما فعل أسلافهم أصحاب المشروع التغريبي الكامل .

وأخيراً ، إذا كان القارئ للنقد الحداثي لا يستغرب النقد الهادم للفكر والتراث الإسلامي ، والمفاهيم الإسلامية التي تكون (العقل) المسلم والتي تكون أساساً للنهضة المنشودة في العالم العربي ، فقد يستغرب نقدهم للمشروع التغريبي الكامل الذي يجعل (العقل) العربي يرى الغرب في صورة المثال والنموذج الذي يجب أن يسير على منواله في مشروع النهضة المنشودة . إذاً هل لدى أولئك النقاد من مشروع آخر تنهض به الأمة العربية من سباتها الطويل ؟ ! !

إن المشروع النقدي الحداثي بكل تأكيد لا يقدم البديل ، بل يفتح المجال على مصراعيه للفوضى الفكرية والسياسية والاجتماعية ، وبالتالي إلى ضياع الهوية الحضارية للأمة بعد أن يتم هدم كل المقومات والأصول التي تبني عليها الأمة نهضتها وتميزها الحضاري .

---

(1) هشام شرابي ، النقد الحضاري للمجتمع العربي مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الأولى 1990 ، ص23 .
(2) محمد عابد الجابري ، الخطاب العربي المعاصر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الرابعة 1992 ، ص24 .
(3) محمد أركون ، تقبل الحداثة بأبعادها المختلفة في السياق الإسلامي ، جريدة الحياة ، 25 ذو الحج 1414هـ ، 5 يونيو 1994م .
(4) إهاب حسن نقلاً من هشام شرابي ، النقد الحضاري للمجتمع العربي مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الأولى 1990 ، ص95 .

(5) محمد عابد الجابري ، التاريخ والفلسفة : ملاحظات حول إشكالية الأصالة والمعاصرة من كتاب التراث والحداثة مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الأولى 1991 ، ص113 .
(6) محمد أركون ، المصدر السابق .
(7) هشام شرابي ، المصدر السابق ، ص86 .
(8) هشام شرابي ، المصدر السابق ، ص91 .
(9) محمد عابد الجابري ، المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية ، في العروي و (آخرون) دار توبقال 1986 ، ص12 .
(10) محمد عابد الجابري ، المصدر السابق ، ص12 .

من ثمرات المنتدى

الملتقى الثقافي والدورة الشرعية

التحرير

الدورة السابعة للعلوم الشرعية :

نظم المنتدى الإسلامي الدورة السابعة للعلوم الشرعية في المقر الرئيس في لندن ، وذلك في الفترة 23 صفر 6 ربيع الأول 1415هـ وقد شارك في الدورة ثلة من أساتذة الجامعات وطلبة العلم ، واستفاد منها قرابة الستين طالباً .

كما نظم المنتدى وللمرة الأولى دورة مبسطة في العلوم الشرعية باللغة الإنجليزية في الفترة نفسها ، وقد بلغ عدد المشاركين ثلاثين طالباً .

والمنتدى الإسلامي يحمد الله عز وجل أن سخر القائمين عليه للاهتمام بهذه الدورات العلمية النافعة ، كما يشكر الإخوة المدرسين على جهودهم الطيبة خلال أيام الدورة .

أنشطة المنتدى الإسلامي الصيفية (الملتقى الثقافي السابع عشر) :

أقام المنتدى الإسلامي ملتقاه الثقافي السابع عشر في مدينة ليستر يومي السبت والأحد 21 ، 22 صفر 1415هـ ، تحت شعار نحو ترشيد أخلاقي للعمل الإسلامي . وقد تناول المحاضرون الموضوع من خلال ثلاث محاضرات :

1) أخلاق السلف في التعامل مع المخالفين .
2) البناء الخلقي وأثره في تكوين الداعية .
3) المؤثرات النفسية على أخلاقيات المنتدين .
4) بالإضافة إلى ندوة تحمل شعار الملتقى عنواناً لها .

كما تضمن الملتقى محاضرة عن أوضاع اليمن تناولت التاريخ والحاضر ورؤية مستقبلية لأوضاع اليمن .

والمنتدى الإسلامي يشكر الإخوة المحاضرين على استجابتهم للدعوة وعلى محاضراتهم القيمة ، كما يعتذر مرة أخرى للإخوة والأخوات الذين حضروا الملتقى عن تغيب عدد من المحاضرين المدعوين ، وهو أمر خارج عن إرادتنا وإرادتهم ، فالله المستعان .

وبعد الملتقى السابع عشر ، كانت لنا وقفة مع جمهور المنتدى المستفيدين في استبانة كانت نتائجها كالتالي :

يرى 72% من المشاركين أن الملتقيات الثقافية نشاط مهم له فوائده العديدة بينما يرى 24% منهم أنها نشاط مفيد إلى حد ما ، ويرى 4% أنها نشاط روتيني فائدته قليلة .

أما عن عدد الملتقيات السنوية ، فيرى 19% منهم أن تعقد الملتقيات ثلاث مرات سنوياً ، بينما يرى الأكثرون (57%) أن تعقد مرتين سنوياً ، و13% يرون عقدها مرة واحدة فقط ، أما 11% من الحضور فيرون ألا يعقد الملتقى إلا عند الحاجة إلى طرح موضوع مهم ، وبعد التأكد من مشاركة محاضرين متميزين .

وأظهرت الاستبانة أن 45% من الحضور يشجعهم على المشاركة بالدرجة الأولى أسماء المحاضرين المدعوين ، بينما يحضر 34% منهم تفاعلاً مع شعار الملتقى وعناوين المحاضرات ، وذكر 21% أن الأسباب الاجتماعية والترفيهية هي الأسباب الرئيسة لحضورهم ، وحول ظاهرة اعتذار المحاضرين عن المشاركة بعد الإعلان عن أسمائهم ، أبدى 12% من الحضور أن هذا يزعجهم كثيراً ، إلى درجة أنهم لو علموا بذلك قبل الوصول لم يحضروا أصلاً ، لكنه لا يؤثر على موقفهم من المشاركة ، وذكر البقية (26%) أن هذا أمر يتوقع ولذلك لا ينزعجون منه .

الورقة الأخيرة

جاهلون أم متجاهلون ؟!

محمد سليمان

إن مشكلتنا مع من يسمون أنفسهم بالكتاب (المثقفين) أو (الانتلجنسيا) العربية، أو (التنويريين) وهذا يعني أن غيرهم ظلاميون مشكلتنا معهم أنهم يقفون مع الظلم والاستبداد ، بل مع الهمجية والوحشية عندما تكون ضد المسلمين ، والحقيقة أن هؤلاء ليسوا بمثقفين ولا أصحاب فكر ، لأن الثقافة والعلم ستؤدي يوماً ما إلى معرفة الحق والوقوف بجانب العدل ، مع إننا نرى بعض الباحثين الغربيين وهم قلة على كل حال يتكلمون ببعض الحقيقة التي لا يستطيع أحد عنده ذرة من حياء أو موضوعية إنكارها .

جاء في حوار أجرته إحدى الصحف العربية مع الباحث الفرنسي (فرانسوا بورجا) قوله عن النخبة الحاكمة بعد الاستقلال : فالنخبة الاستقلالية انفصلت عن الغرب سياسياً ، ولكن ثقافياً ظلت تتجاهل الأطر المرجعية المحلية ، ففي تونس مثلاً أغلق (الحبيب بورقيبة) المؤسسة التي كانت تعتبر قلب الثقافة الإسلامية في تلك الفترة ، وهي جامعة الزيتونة ، وقال جواباً لسؤال حول العنف ومن الذي بدأ به ؟ : في كثير من الأحيان نجد أن العنف بادرت به الأنظمة الحاكمة ، وليست الحركات الإسلامية .

ورداً حول ما يقال وإن المد الإسلامي يرجع إلى تدهور الحالة الاقتصادية قال: أنا لا أوافق على هذا التحليل ، ولكن أعتقد أن الظروف الاقتصادية تؤثر إلى حد ما على أسلوب العمل السياسي ....

وهذا كاتب فرنسي آخر (جاك فيرجاس) يؤلف أخيراً (رسالة مفتوحة إلى أصدقاء جزائريين تحولوا إلى جلادين) ، وفي هذا الكتاب يتهم مثقفي الجزائر ويحملهم مسؤولية ما يجري ، ويتهمهم بالتواطؤ مع السلطة ، وأن فعل الإسلاميين كان رداً على عنف السلطة ، ويطالب (المثقفين) بتحديد موقعهم بوضوح ، هل يقفون إلى جانب النظام الديكتاتوري أو ينضمون إلى ضحايا القمع .. ؟ !

هل هذان الفرنسيان أعرف بالمنطقة وظروفها وتقلباتها من بعض المتعالمين عندنا ؟ أم أن شيئاً من الحياد والتعقل جعلهم يتكلمون ببعض الحقائق ، بينما نرى كتابنا (كتاب الصحف والمجلات) الذين يدعون (التنويرية) مازالوا يدندنون على أن سبب المد الإسلامي هو التدهور الاقتصادي ، ويطلبون من الغرب مساعدتهم اقتصادياً حتى يقف هذا المد .

وإن مما يدعو للشفقة والرثاء أن يطلع علينا (فؤاد زكريا) في مجلة العربي متأسفاً متحسراً على الأيام الخوالي ، أيام طه حسين وأحمد لطفي السيد وسلامة موسى الذين بدأت بهم حركة (التنوير) ! ومتحسراً على أن الإسلام هو الذي ينتشر

بين صفوف الناس والمتعلمين ، وهذا في زعمه تراجع إلى الوراء .
حالة مؤسفة فعلاً أن يكون (المثقفون) العرب بهذا الجهل أو التجاهل .

تمت بعون الله والحمد لله رب العالمين